الدلالات الدعوية
في
صلح الحديبية

إعداد
د/ خالد الديب عبدالعزيز محمود
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد ؛؛؛

لقد كان صلح الحديبية من الوقائع العظيمة التي غيرت مجرى تاريخ الدعوة، وحيدت أكبر عدو للمسلمين، فدخل الناس بعدها في دين الله أفواجاً، فقد لوى الشيطان عنقه، وما عادت قريش من جنده، فسهل على المسلمين الدعوة والصدع بها في جزيرة العرب وخارجها، فقد كانت فتحا كما سماها المولى – ﷻ – في كتابه.

وصلح الحديبية ذلك الحدث الجليل اشتمل على دلالات دعوية عديدة تمثل في الداعي الأول والأعظم سيد الخلق – ﷺ –، كما اشتمل على دلالات دعوية تتعلق بالمدعوين وأخرى تتعلق بموضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها، ومن ثم أردت أن أسلط الضوء على أهم تلك الدلالات الدعوية فكان هذا البحث والذي جاء بعنوان: "الدلالات الدعوية في صلح الحديبية".

وقد تناولت في المقدمة أهمية البحث، ومنهجي فيه، وأهم الأسباب التي دعتني لاختياره، ثم تحدثت في التمهيد عن أهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وفي المبحث الأول تناولت أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي وتمثلت في القيادة الحكيمة، وحرص الداعية على السلام، ورفق الداعية بالمدعوين، وفي المبحث الثاني تناولت أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو وتمثلت في تعظيم النبي – ﷺ – وطاعة أوامره والتضحية والفداء من أجل الدعوة، وحسن المشورة، وفي المبحث الثالث تناولت

الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة، وتمثلت في الوفاء بالعهود والمواثيق، الثقة في الله أساس النصر والتمكين، والإسلام دين التعايش السلمي، وفي المبحث الرابع تناولت أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية وتمثلت في ضرورة تغيير الأسلوب والوسيلة للوصول للهدف الدعوي، وتعدد الوسائل والأساليب في التعامل مع المدعوين، وتعدد الوسائل والأساليب في التعامل مع المدعوين، وأخيرا سجلت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث وأهم التوصيات.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

د. خالد الديب عبد العزيز

Research Summary

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the most honorable messengers, our master Muhammad, may God bless him and his family and companions.

And after.

Al-Hudaybiyah was one of the great facts that changed the course of the history of the call, It removed the greatest enemy of Muslims. Then people entered the religion of God in regiments. The devil left them and gone, and Quraish never returned from his army, so it was easy for Muslims to call and crack in it in the Arabian Peninsula and outside it, it was victory as the Master called it in his book.

Al-Hudaybiyyah reconciled that glorious event that included many prophetic indications, which are represented in the first and greatest da'i, the master of creation , and also included prophetic indications related to the invitees and others related to the subject of the invitation and its methods and methods, and then I wanted to highlight the most important of these advocacy indications so this research, which came under the title : Advocacy indications in the of Hudaybiya Treaty

In the introduction, I addressed the importance of the research, my method in it, and the most important reasons that prompted me to choose it, then I spoke in the preamble about the most important terms mentioned in the title of the research, and in the first topic I dealt with the most important indications of advocacy related

to the advocate and represented in the wise leadership, and the preacher was keen on peace, and attached the preacher to the invitees In the second topic, I discussed the most important indications of advocacy related to the invitee and was to glorify the Prophet and obey his orders and sacrifice and redemption for the purpose of advocacy, and good advice, and in the third topic I discussed advocacy indications related to the subject of the invitation, and was to fulfill covenants and covenants, trust in God is the basis Victory and empowerment, and Islam is the religion of peaceful coexistence. In the fourth topic, I discussed the most important indications of advocacy related to the means and methods of advocacy and were represented in the need to change the method and means to reach the goal of the advocacy, and the multiplicity of means and methods in dealing with invitees, and the multiplicity of means and methods in dealing with invitees, and finally recorded The most important results she reached through the research and the most important recommendations.

The name: Khaled AL deep Abed Alazeez
Al Azhar university
College of Fundamentals of Religion and Islamic Call
Islamic Call Department
Mobile:0201126211322.
Email: dr_khaledaldeep@yahoo.com.

key words: Advocacy semantics - Hudaybiya Treaty- Wise leadership - Sacrifice and redemption- Caring for peace.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد حفلت السيرة النبوية بأحداث جليلة، ووقائع عظيمة، كان فيها النبي - ﷺ - هو القائد وهو المربي، وهو الداعي إلى الله، وهو الموجه والمرشد للأمة، فبلغ الرسالة وجاهد في سبيل الله متحملاً في سبيل ذلك المشاق الجسام، وصابرا على الأذى فما لانت له قناة، ولا استبد به يأس، ولا نال من عزيمته عدو.

وكان من ضمن هذه الأحداث الجسيمة، والوقائع العظيمة؛ واقعة صلح الحديبية، التي غيرت مجرى تاريخ الدعوة، وحيدت أكبر عدو للمسلمين، فدخل الناس بعدها في دين الله أفواجاً، فقد لوى الشيطان عنقه، وما عادت قريش من جنده، فسهل على المسلمين الدعوة والصدع بها في جزيرة العرب وخارجها، فقد كانت فتحا كما سماها المولى - ﷻ - في كتابه حيث أنزل على نبيه - ﷺ - في طريق عودته يخبره بأنها فتح فقال: لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ [1].

---

(١) سورة الفتح الآيات: ١ - ٣.

وصلح الحديبية ذلك الحدث الجليل اشتمل على دلالات دعوية عديدة تمثل في الداعي الأول والأعظم سيد الخلق – ﷺ –، كما اشتمل على دلالات دعوية تتعلق بالمدعوين وأخرى تتعلق بموضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها، ومن ثم أردت أن أسلط الضوء على أهم تلك الدلالات الدعوية فكان هذا البحث والذي جاء بعنوان:

"الدلالات الدعوية في صلح الحديبية"

منهجي في البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي[1]، في وصف هجرة النبي – ﷺ – ثم اعتمدت بعد ذلك على المنهج التحليلي الاستنباطي [2]، وذلك لاستنباط فقه الدعوة من خلال صلح الحديبية مما له ارتباط بموضوع البحث المتعلقة بالداعية أو المدعو أو موضوع الدعوة، ثم تحليل تلك الدلالات تحليلا علميا.

(١) وهو المنهج الذي يسعى إلى وصف الظواهر أو الأحداث المعاصرة أو الراهنة، وتقدم بيانات عن خصائص معينة في الواقع. (مناهج البحث العلمي، سعيد التل وآخرون: ١٠٧/١، ط: مؤسسة الوراق – عمان الأردن – ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

(٢) وهو منهج يقوم على ثلاثة أسس: التفسير أولاً، ثم التحليل والنقد، ثم الاستنباط وهو ما يعبر عنه بالتركيب (انظر: أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري ص٧، ط: دار الفرقان، الدار البيضاء بالمغرب، ط: الأولى ١٩٩٧م).

أسباب اختياري للموضوع:

أولاً: لفت أنظار الدعاة إلى منهج النبي – ﷺ – في مواجهة الأزمات، وما اشتمل عليه من دلائل دعوية، وهو منهج يحتاج إليه كل داعية في دعوته.

ثانياً: بيان الأخلاق الرفيعة والقيم السامية في صلح الحديبية من النبي – ﷺ – وأصحابه والتي كان لها دور كبير في دخول الناس في دين الله أفواجاً.

ثالثاً: أردت أن يدرك المسلمون الدلائل الدعوية في إيثار النبي – ﷺ – السلم والصلح مع قريش بالرغم مما يظهر في الوهلة الأولى من هضم بعض حق المسلمين.

رابعاً: إرشاد الدعاة إلى كيفية تحويل الأحداث والأزمات لفائدة الدعوة وخدمتها، فما من حدث ولا أزمة إلا حوله النبي – ﷺ – إلى مصلحة الدعوة حتى آتت ثمارها، وصلح الحديبية خير نموذج على ذلك.

خطتي في البحث:

لقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة كما يلي:

أما المقدمة: وفيها حمد الله والثناء عليه وبيان أهمية البحث وأسباب اختياره.

وأما التمهيد: وفيه التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث (الدلالات الدعوية – صلح الحديبية).

ثم عرض عام لوقائع صلح الحديبية كما وردت في كتب السنة والسيرة المطهرة.

وأما المبحث الأول فهو بعنوان: (أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي) وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القيادة الحكيمة.

المطلب الثاني: حرص الداعية على السلام.

المطلب لثالث: الرفق بالمدعوين.

وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: (أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو) واشتمل على ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: تعظيم النبي – ﷺ – وطاعة أوامره.

المطلب الثاني: التضحية والفداء من أجل الدعوة.

المطلب الثالث: حسن المشورة.

وأما المبحث الثالث فهو بعنوان: (الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة) واشتمل على ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: الوفاء بالعهود والمواثيق.

المطلب الثاني: الثقة في الله أساس النصر والتمكين.

المطلب الثالث: الإسلام دين التعايش السلمي.

وأما المبحث الرابع فهو بعنوان: (أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية) واشتمل على ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: ضرورة تغيير الأسلوب والوسيلة للوصول للهدف الدعوي.

المطلب الثاني: تعدد الوسائل والأساليب في التعامل مع المدعوين.

المطلب الثالث: أثر وسائل وأساليب النبي – ﷺ – في الدعوة.

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

تمهيد في بيان أهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث

ويتضمن:

- التعريف بمصطلحات (الدلالات الدعوية – صلح الحديبية).
- وقائع صلح الحديبية.

أولاً: الدلالات الدعوية:

يتكون مصطلح الدلالات الدعوية من لفظين (الدلالات – الدعوية) وحتى نتعرف على المقصود بالدلالات الدعوية لابد من التعريف بالمصطلحين كل منهما على حدة:

أ- الدلالات:

الدلالات جمع دلالة، والدلالة في اللغة مصدر الفعل الثلاثي "دل" بالتشديد والذي يدل على عدة معان يقال: "أَدَلَّ عليه وتَدَلَّل: انبسط ... وهو من الإِدْلالِ والدَّالَّةِ على من لك عنده منزلة ... ودَلُّ المرأَةِ ودَلالُها تَدَلُّلها على زوجها وذلك أَن تُرِيه جَراءةً عليه في تَغَنُّج وتَشَكُّل ... دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة "[1].

وفي مقاييس اللغة: "(دل) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها، والآخَر اضطرابٌ في الشيء.

فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء.. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة، والأصل الآخَر قولهم: تَدَلْدَل الشَّيءُ، إذا اضطرَبَ "[2].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (دلل) ٢٤٧/١١، ط: دار صادر، بيروت، الأولى.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٥٩/٢، ط: دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.

وفي المعجم الوسيط (دل) عليه وإليه دلالة أرشد ويقال دله على الطريق ونحوه سدده إليه فهو دال[١].

من هذا يتبين أن المقصود بالدلالة في اللغة الإرشاد والإبانة والأمارة والانبساط والتسديد إلى الطريق.

أما الدلالة في الاصطلاح:

فقد عرفت بأنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[٢].

وعرفها الإمام الراغب الأصفهاني[٣] بأنها: "ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة، والعقود في الحساب"[٤].

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبدالقادر – محمد النجار ٢٩٤/١، ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني ص١٠٤، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، أبوالقاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء) و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الأخلاق) توفي عام ٥٠٢هـ (انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد ابن يعقوب الفيروزأبادي ص١٩، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت ١٤٠٧هـ، ط: الأولى تحقيق: محمد المصري، وسير أعلام النبلاء للإمام محمد شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٨/ ١٢١، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٠هـ – ١٩٨١م).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص١١٦، ١١٧، ط: دار القلم، الدار الشامية =

أو هي "الإشعار بأمر خفي"(١).

من هذه التعريفات يتبين أن الدلالة في الاصطلاح هي استخراج المعاني والأحكام الخفية من الألفاظ، ومن ثم كانت الدلالة هي محور وعمود بعض العلوم كعلم الأصول والبيان وغيرها، ولا يقل عنها علم الدعوة إذ أن دلالات المأثور من القرآن الكريم والسنة المطهرة هي زاد الداعية ومعينه الذي لا ينفد.

ب- الدعوية:

أي المنسوبة إلى الدعوة، والدعوة في اللغة مصدر الفعل (دعا) يقال: "دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا: ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة: فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون مثل: قاض وقضاة وقاضون، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد، ودعوت الولد زيدا وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم "(٢).

وفي لسان العرب:" دَعا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً: ناداه. والاسم الدعْوة ودَعَوْت فلاناً أَي صِحْت به واسْتَدْعَيْته ... وتَداعى القومُ دعا بعضُهم بعضاً حتى يَجتمعوا .. ودَعاه إلى الأَمِير ساقَه "(٣).

= دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي.

(١) تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور١٦٤/٢٢، ط: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي ١٩٤/١، ط: المكتبة العلمية – بيروت.

(٣) لسان العرب مادة (دعا) ٢٥٧/١٤.

من هذا يتبين أن الدعوة في اللغة الابتهال والرغبة في الخير، والنداء، وطلب الإقبال إلى الله والاجتماع.

أما الدعوة الإسلامية في الاصطلاح فهي تطلق على معنيين:

الأول: الإسلام نفسه والرسالة.

الثاني: عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة [١].

وقد وردت عدة تعريفات للدعوة على كلا المعنيين، فعلى المعنى الأول وهو كون الدعوة بمعنى الرسالة أو الإسلام نفسه عرفت الدعوة بأنها:

" النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد – ﷺ – من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة "[٢].

أو " هي دين الله الذي بعث به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – جميعاً، تجدد على يد محمد – ﷺ – خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة " [٣].

أما المعنى الثاني وهي كونها بمعنى النشر والبلاغ فقد عرفت بأنها: " هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد البيانوني ص ٣٩، ٤٠، ط مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٥هـ.

(٢) منهج الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أ.د/ أحمد أحمد غلوش صـ١٣، ط: دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني – بيروت .

(٣) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد عبدالرحمن الراوي ص٣٩، ط دار الرشد الرياض ١٤١١هـ.

بطرق مخصوصة "[١].

كما عرفت أيضاً بأنها: " حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل "[٢].

وعرفها آخر بقوله: " الدعوة هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " [٣].

وهذه التعريفات معانيها متقاربة وكلها تصب في محاولة التبليغ والنشر وكيفيتها، وإن كان التعريف الأخير يجعلها علما له أصوله وأسسه.

وقد دلت هذه التعريفات أيضاً لكلا المعنيين على أن للدعوة أساس وقاعدة وهو المعنى الأول، كما أن لها منطلقات وأهداف تسعى لتحصيلها وتحقيقها وهو المعنى الثاني، وكلا المعنيين الدعوة بمعنى الرسالة أو الدين أو الدعوة بمعنى البلاغ والنشر يرتكز عليهما البحث لاستخراج الدلالات الدعوية من صلح الحديبية، وإن كان الاستنباط لتلك الدلالات يرتكز على المعنى الأخير.

وعلى هذا يمكن تعريف الدعوة بعد الجمع بين معنى الدلالات ومعنى الدعوة بأن الدلالات الدعوية هي: هي استخراج المعاني والأحكام الخفية مما ورد في صلح الحديبية وله علاقة بالدين وبمحاولة نشره بين الناس.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، د/ أبو بكر زكري ص٨، ط: دار العروبة، القاهرة.

(٢) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ ص١٧، ط: دار الاعتصام، ط: التاسعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد غلوش صـ١٠.

ثانيا: صلح الحديبية:

يتكون مصطلح "صلح الحديبية" من لفظين "صلح" ولفظ "الحديبية" ولكي نقف على المعنى المراد لابد من تحليل اللفظين:

أ- "صلح":

الصلح اسم مصدر من الفعل الثلاثي"صلح" والذي يدل على عدة معان يقال: "صلح: الصَّلاح ضدّ الفساد ... والإصلاح نقيض الإفساد، والمَصْلَحة الصَّلاحُ، والمَصلَحة واحدة المصالح، والاسْتِصْلاح نقيض الاستفساد، وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده: أَقامه. وأَصْلَحَ الدابة: أَحسن إِليها. والصُّلْحُ: تَصالُح القوم بينهم. والصُّلْحُ: السِّلْم. والصِّلاحُ بكسر الصاد مصدر المُصالَحةِ والعرب تؤنثها والاسم الصُّلح يذكر ويؤنث "(١).

وفي المعجم الوسيط: " صلح صلاحا وصلوحا: زَالَ عَنهُ الْفساد، وَالشَّيْء كَانَ نَافِعًا أَو مناسبا يُقَال: هَذَا الشَّيْء يصلحلَك ... (الصّلاح) الاسْتقَامَة والسلامة من الْعَيْب ... (الصُّلْح) إنهاء الْخُصُومَة وإنهاء حَالَة الْحَرْب وَالسّلم وَقد يُوصف بِالْمَصْدَرِ فَيُقَال هُوَ صلح لي وهم لنا صلح مصالحون"(٢).

مما سبق يتضح أن: "صلح" تدل على عدم الفساد، والسلامة من العيوب، والإحسان إلى الخلق والاستقامة، وإنهاء الخصومة والحرب، وكذلك السلم.

ولا يخفى أن المراد بها في هذا البحث السلم وإنهاء الخصومة والحرب.

---

(١) لسان العرب مادة (صلح) ٢/٥١٦.

(٢) المعجم الوسيط مادة (صلح) ١/٥٢٠.

ب- الحديبية:

أما الحديبية فهو مكان الصلح بين رسول الله – ﷺ – والمشركين من قريش، وضبط نطق الحديبية " بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها "(١).

وسبب تسميتها بالحديبية أنها سميت " بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وقيل سميت ببئر، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد الحل من البيت "(٢).

أما عن مكانها اليوم واسمها فالحديبية " تقع غرب مكة على بعد (٢٢كيلو) على الطريق إلى جدة، وقد تغير اسمها إلى الشميسي لأنه يقال: إن رجلاً يدعى الشميسي حفر بئراً هناك فغلب اسمه عليها، وبالقرب منها من الغرب أقامت أمانة العاصمة حدائق تعرف بـ (حدائق الحديبية) وفي الحديبية اليوم مسجد الرضوان يقال: إنه بني مكان البيعة "(٣).

وعلى ذلك فالمراد بصلح الحديبية ذلك الاتفاق الذي تم بين النبي–ﷺ– وبين كفار قريش في ذلك الموقع القريب من مكة المشرفة.

زمان صلح الحديبية:

اتفق المؤرخون على أن صلح الحديبية كان في ذي القعدة سنة ست

---

(١) معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي ٢/٢٢٩، ط: دار الفكر – بيروت.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/٢٢٩

(٣) نسب حرب، محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي ص٣٥٠، ط: مكتبة دار البيان، دمشق، ط: الأولى ١٣٩٧هـ.

من الهجرة يقول الإمام النووي[١]: " وقد أجمع المسلمون على أن الحديبية كانت سنة ست من الهجرة في ذي القعدة"[٢].

وقائع صلح الحديبية:

كان من اللازم قبل الدخول في استنتاج الدلالات الدعوية من صلح الحديبية من معرفة أحداث ووقائع ذلك الصلح، حيث إن معرفة الصورة مجمعة أعون في استخراج دلالات دعوية مرتبطة بالحدث في وقت معين، أو مرتبطة بالحدث ككل من أوله إلى آخره.

خرج النبي – ﷺ – ومعه المسلمون يريدون آداء العمرة بعد الحروب مع قريش في بدر وأحد والخندق، فلقد رأى رسول الله – ﷺ – رؤيا " في منامه أنه والمسلمين يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ورؤيته – ﷺ – حق وصدق أصبح فأخبر أصحابه ففرحوا وبخاصة المهاجرون الذين يحنون إلى وطنهم العزيز "[٣].

---

(١) هو الإمام الفقيه الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري الحزامي الحوراني الشافعي النووي، ولد في المحرم سنة ٦٣١هـ، له شرح مسلم والروضة وشرح المهذب والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب، وكان إماما بارعا حافظا متقنا أتقن علوما شتى مات في رابع عشر رجب سنة ٦٧٦هـ. (انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٣هـ).

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ٧٢/٧، ط: دار الفكر – بيروت ١٩٩٧م.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أ.د/ موسى شاهين لاشين ٢٦٧/٧، ط: دار الشروق، ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

فاستنفر النبي – ﷺ – القبائل التي دخلت الإسلام فلبى الكثير منهم ومنهم من أبطأ واجتمع مع النبي – ﷺ – أكثر من ألف وأربعمائة من أصحابه[1] يقصدون البيت الحرام، وذلك في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وأحرم بالعمرة لكي يعلم الناس جميعاً أنه إنما خرج زائرا للبيت معتمرا.

ولكن قريشاً لما سمعت بخروج المسلمين أبت ألا يدخلوا مكة فأرسلت فرسانها بقيادة خالد بن الوليد[2] – ﷺ – كي يعترض المسلمين فلا يدخلوا

(١) روي العدد في صحيحي البخاري ومسلم أنهم كانوا ألف وأربعمائة وفي رواية أخرى أنهم كانوا ألف وخمسمائة وفي رواية ثالثة أنهم كانوا ألف وثلاثمائة، وقد جمع ابن حجر بين هذه الروايات فقال: " والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألفا وخمسمائة جبر الكسر ومن قال ألفا وأربعمائة ألغاه ويؤيده... وأما قول عبدالله بن أبي أوفى ألفا وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ". (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧/٤٤٠، ٤٤١، ط: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ).

(٢) هو الصحابي الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله – تعالى – وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي، المخزومي، المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، هاجر مسلما في صفر، سنة ثمان، ثم سار غازيا، فشهد غزوة مؤتة.. سماه النبي – ﷺ –: سيف الله، فقال: (إن خالدا سيف سله الله على المشركين)، عاش ستين سنة، وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا = = قرت أعين

مكة ولا يطوفوا بالبيت الحرام.

ولما بلغ عسفان[١] لقيه بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ[٢] وكان عيناً لرسول الله – ﷺ – بعثه إلى قريش، فقال: "يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل[٣] قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى[٤]، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ".

الجبناء، توفي بحمص، سنة إحدى وعشرين (سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ٣١٩/١).

(١) عسفان بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون ... منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وهي بلدة على بعد حوالي ٨٠ كيلو شمال مكة وهي تجمع ثلاث طرق الطريق إلى المدينة وإلى مكة وإلى جدة. (انظر: معجم البلدان ياقوت ابن عبدالحموي ١٢١/٤، ١٢٢، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي ص٢٨٨، ط: دار مكة، ط: الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(٢) ويقال بشر بن سفيان العتكي ويقال الخزاعي، بعثه النبي – ﷺ – بعد ذلك عينا له على قريش. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن عبدالبر ٤٢٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ).

(٣) العوذ المطافيل: أي الإبل مع أولادها. والمطفل: الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلها. يقال: أطفلت فهيم طفل ومطفلة. والجمع مطافل ومطافيل بالإشباع. يريد أنهم جاءوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٣١٨/٣، المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي).

(٤) واد من أودية مكة، كله معمور اليوم، يسيل في سفوح جبلأ ذاخر والحجون من الغرب، وتفضي إليه كل من ثنية الحجون – كداء قديما – وثنية ريع الرسام – كدى – قديما. ويذهب حتى يصب في المسفلة عند قوز المكاسة – الرمضة قديما – من =

فقال النبي – ﷺ –: " يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة "(١).

ثم غير النبي – ﷺ – الطريق لئلا يقع قتال بين الفريقين، فسلك المسلمون طريقا وعرا بين الجبال حتى انتهى بهم في الحديبية، ورجع فرسان قريش إلى مكة لما علموا بتغيير المسلمون طريقهم.

وجاء وفد من خزاعة (٢) فلما اطمأن رسول الله – ﷺ – أتاه بديل ابن ورقاء، في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم إنه لم يأت يريد حربا، وإنما جاء زائرا للبيت، ومعظما لحرمته.

ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، وإن محمدا لم يأت لقتال، إنما جاء زائرا لهذا البيت.

= الجهة المقابلة. وانحصر الاسم اليوم في بئر في جرول تسمى بئر طوى. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي ص١٨٨، ١٨٩).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٩/٤، ط: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) خزاعة: قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، وهو لحيّ ابن حارثة بن عمرو، كانت لهم ولاية البيت (الكعبة) قبل قريش، في بني كعب ابن عمرو بن لحي (معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة ٣٣٩/١، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م).

فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب [١].

ودارت المفاوضات بين النبي -ﷺ- وبين قريش من خلال تبادل الرسل فجاء إلى النبي - ﷺ - بعضا من كبار قريش فكان يقابل كل منهم بالطريقة المثلى التي تتفق مع حاله، كما أن النبي - ﷺ - أرسل إليهم سيدنا عثمان ابن عفان- ﷺ - " فبعثه إلى أبي سفيان - ﷺ - وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت، ومعظما لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص[٢] حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله - ﷺ - فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله - ﷺ - ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله - ﷺ - إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله - ﷺ - واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤/١٩٠.

(٢) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي - ﷺ -، تأخر إسلامه بعد إسلام أخويه خالد وعمرو، ثم أسلم أبان وحسن إسلامه، كان إسلام أبان بين سعيد بين الحديبية وخيبر، وأمره رسول الله - ﷺ - على بعض سراياه، منها سرية إلى نجد، واستعمل رسول الله - ﷺ - أبان ابن سعيد بن العاصي على البحرين، اختلف في وفاته فقيل قتل يوم اليرموك سنة ١٥هـ، وقيل يوم أجنادين سنة ١٣هـ وقيل يوم مرج الصفر سنة ١٤هـ. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ١/٦٣، ٦٤، ط: دار الجيل، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، تحقيق: محمد على البيجاوي).

– ﷺ – والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل "[1].

وهنا عزم النبي – ﷺ – على مناجزة القوم، حيث قتلوا رسوله إليهم، فدعا النبي – ﷺ – أصحابه إلى المبايعة على القتال، فبايعوا النبي – ﷺ – تحت الشجرة في بيعة سميت بيعة الرضوان، والتي نزل فيها قول الله – ﷻ –: □ ني ني □ ير □ [2].

وهنا استشعرت قريش خطورة الموقف فبعثت " سهيل بن عمرو[3]، إلى رسول الله – ﷺ –، وقالوا له: ائت محمدا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا.

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله – ﷺ – مقبلا، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله – ﷺ – تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح "[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٥/٢، ط: مصطفى البابي الحلبي، ط: الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٨.

(٣) سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي بن غالب القرشي العامري، يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية، أسر يوم بدر كافرا، وكان خطيب قريش، قيل مات – ﷺ – في اليرموك وقيل: في طاعون عمواس. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ٦٧٢/٢).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٦/٢.

وكانت بنود الصلح كما أوردها الإمام ابن كثير[١] – / – كما يلي: " حينما دعا النبي – ﷺ – علياً بن أبي طالب – ﷺ – فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله – ﷺ –: اكتب باسمك اللهم فكتبها. ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال فقال رسول الله – ﷺ –: اكتب، هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة[٢]، وأنه لا إسلال ولا إغلال[٣]، وأنه من أحب أن يدخل

---

(١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى الأصل الدمشقى الشافعى، ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة ٧٠١ ثم انتقل الى دمشق سنة ست وسبعمائة وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزارى وغيره وسمع من القاسم بن عساكر والمزي وغيرهما، وتوفى بدمشق سنة ٧٧٤هـ. (انظر: البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن على الشوكانى ١٥٣/١، ط: الأولى، ط: السعادة، القاهرة ١٣٤٨هـ).

(٢) أي بينهم صدر نقي من الغل والخداع مطوي على الوفاء بالصلح. والمكفوفة: المشرجة المشدودة. وقيل: أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ٦١٧/٣).

(٣) الإسلال السَّرِقة يقال: في بني فلان سلة – إذا كانوا يسرقون، والإغلال: الخيانة =

في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه"[١].

ولقد رأى كثير من الصحابة أن هذا الصلح به إجحاف بحق المسلمين، إذ لم يدركوا عواقبه الحميدة، إذ كيف يرجعون بعد خروجهم قاصدين البيت الحرام مقلدين الهدي، وكيف يردون إلى المشركين من جاءهم مسلماً، فعز عليهم أن يتحللوا بعد إحرامهم فدخل النبي – ﷺ – خيمته فتلقته زوجه أم سلمة – ك – فذكر لها ما لقي من الناس "فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا "[٢].

وعبر عن هذا الموقف سينا عمر – ﷺ – لما قال للنبي – ﷺ –: " يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال: بلى قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى. قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال: أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني، قال عمر: قلت أوليس

= (انظر: غريب الحديث لأبي عبيدالقاسم بن سلام ١٩٩/١، ط: دار الكتاب العربي، ط: الأولى ١٣٩٦م).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٢٠/٣، البداية والنهاية لابن كثير ١٩٢/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٩٧٤/٢، حديث رقم ٢٥٨١، ط: دار ابن كثير، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: (بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام). قال: قلت لا. قال: (فإنك آتيه ومطوف به) "[1].

وهكذا وفي هذه الظروف العصيبة رجع المسلمون إلى المدينة مع النبي – ﷺ – على أن يعودوا في العام المقبل.

هذا ملخص هذا الصلح وتلك الواقعة العظيمة في تاريخ المسلمين والتي سوف أستخرج منها – بعون الله – الدلالات الدعوية المضمنة فيها.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤، حديث رقم ٢٥٨١، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/١٩٢.

المبحث الأول
أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي

لقد اشتمل هذا الحدث العظيم على دلالات دعوية عظيمة، تبين لنا ما يجب أن يتصف به الداعية، وما يجب أن يسلكه من طرق في دعوته حتى تؤتي ثمارها المرجوة، وذلك تأسياً بالنبي – ﷺ – في هذا الحدث المهم في تاريخ الدعوة، وفي هذا المبحث أبين أهم هذه الدلالات، ولقد أفردت كل دلالة بمطلب وذلك كما يلي:

المطلب الأول: القيادة الحكيمة.

المطلب الثاني: حرص الداعية على السلام.

المطلب لثالث: الرفق بالمدعوين.

المطلب الأول

القيادة الحكيمة للداعية

إن القيادة الحكيمة لها الأثر الأعظم في تحقيق الأهداف المرجوة، فالقيادة الحكيمة هي منبع النصر ومدفن الهزيمة، ولا يتسم بهذا الوصف وهو الحكمة في القيادة إلا الرجال الأفذاذ الذين وهبهم الله – ﷻ – عقلاً راجحاً وذكاء مفرطاً، والنبي – ﷺ – قد وهبه الله ذلك وزاد عليه نور من النبوة والوحي، ومن ثم كانت قيادته مثلاً يضرب، ومبدأً يحتذى.

مفهوم القيادة[1] الحكيمة:

يعتبر القائد للجماعة كالرأس بالنسبة للجسد، فهو الذي يقدمهم وهو الذي يوجههم بما يحقق صالحهم، ومن ثم فقد عرفت القيادة بأنها "القدرة على توجيه مجموعة من الأشخاص نحو القيام بعمل مشترك في تناسق

(١) يطلق على القائد في القرآن الكريم لفظ أولي الأمر وهم من يتولون أمور المسلمين، كما يطلق على القيادة أيضا لفظ الإمامة والتي تحمل معنى القدوة الحسنة، كما في قوله – ﷻ –: { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [البقرة: ١٢٤] ويطلق أيضا علي القيادة لفظ السيادة كما في قوله – ﷻ –: { وَسَيِّدًا وَحَصُورًا } [آل عمران: ٣٩] ومعنى السيد كما ذكره الطاهر بن عاشور – / – في التحرير والتنوير ٣/٢٤٠: " فيعل من ساد يسود إذا فاق قومه في محامد الخصال حتى قدموه على أنفسهم، واعترفوا له بالفضل ... وهو في اصطلاح الشرع: " من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معا، وفي الحديث: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " أ.هـ والحديث في صحيح الإمام مسلم، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا – ﷺ – على جميع الخلائق ٤/١٧٨٢، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

وجماعية وانسجام بقصد تحقيق هدف معين أو مجموعة أهداف محددة "[1].

فالمسلمون كلهم يتجمعون حول القيادة المتمثلة في النبي – ﷺ – وهو الذي يوجههم بما فيه الخير للمسلمين في دنياهم وأخراهم.

وإذا كان معنى الحكمة هو " الإصابة فى القول والفعل "[2] أو هي " وضع شيء في موضعه "[3] فإن القيادة الحكيمة بذلك تعني: القدرة في تحقيق التأثير على الآخرين وتوجيههم لتحقيق الإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء في موضعه لتحقيق الهدف أو الأهداف الذي تطمح إليها الجماعة وتحقق سعادتهم في العاجل والآجل.

ولقد ظهرت هذه الحكمة في القيادة في صلح الحديبية أيما بروز، وكان لها نتائج إيجابية أثرت على المسيرة المباركة للإسلام والمسلمين، وفيما يلي جوانب من هذه القيادة الحكيمة التي ظهرت في صلح الحديبية.

حرصه – ﷺ – على الخروج للعمرة وعدم التفاته للمثبطين:

فالنبي– ﷺ – عندما استنفر قبائل العرب الذين دخلوا في الإسلام، ومن حوله من المدينة من الأعراب، أبطئوا في الخروج معه، وفيهم نزل قول الله

---

(١) قطوف إدارية من القران الكريم، عنان شيخ الأرض، وأحمد عبدالسلام دباس ص٩، ط: دار الفكر، دمشق، ط: الأولى ١٤٢٤هـ .

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٤٨٧/٢، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، تحقيق: محمد علي النجار.

(٣) التعريفات للشريف الجرجاني ص١٢٤، ط: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

تعالى: □ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ □ □ □ □ □□ □ □ بر □ □ بنبى بي تر □
□ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □
.[١]

ففي الآية يبين المولى – ﷻ – ما احتج به الذين أبطأوا في الخروج مع النبي – ﷺ – بأنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم، وهو اعتذار خالٍ من الصحة ففي الآية اللاحقة يبين المولى – ﷻ – حجتهم الحقيقية في عدم الخروج مع النبي – ﷺ – وهو قوله: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □
ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ [٢].

يقول الحافظ ابن كثير – / –: " مخبرا رسوله – ﷺ – بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله – ﷺ – فاعتذروا بشغلهم لذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول – ﷺ – ... يقول: □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني أي اعتقدتم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم، وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر، وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أي هلكى"[٣].

وهنا تتجلى حكمة النبي – ﷺ – في قيادته، وعلو همته وقوة عزيمته، فهو – ﷺ – أراد من استنفارهم معه حكمة عظيمة، وهي إرهاب قريش فأراد أن "يستكثر من الناس لخشيته من قريش وسوء العلاقة معهم أن يعرضوا له

(١) سورة الفتح الأية: ١١.
(٢) سورة الفتح الأية: ١٢.
(٣) تفسير ابن كثير٧/٣١٣.

بحرب، أو يصدوه عن المسجد الحرام"[1]، ولكن النبي – ﷺ – – برغم تخلف هؤلاء – قصد وعزم حتى لو لم يخرجوا معه، فخرج بأصحابه من المهاجرين والأنصار وبعض الأعراب الذين لحقوا به.

فلم يفت في عضد النبي – ﷺ – تخلف المتخلفين ولا تثبيط المثبطين، ولا كثرة العدو ولا رهبة المسلمين منهم، فالنبي – ﷺ – بقيادته الحكيمة قادر على مواجهة الجميع، وقادر على أن يعد لكل أمر عدته.

حرصه – ﷺ – على استطلاع أخبار العدو أثناء المسير:

إن من الحكمة القيادية أن يستطلع القائد أخبار عدوه، فيتخذ ما يلزم من إجراءات قبل مفاجآت العدو، فيأمن غائلته، ويعرف قدر قوته، وما يرمي إليه.

" ذلك أن التخطيط السليم للمعركة يتوقف على معرفة أسرار العدو، ورصد تحركاته، وكشف مخططاته، ولا سبيل إلى التخطيط السليم المدروس إلا بالمعرفة المبكرة للحصول على المعلومات بواسطة الجواسيس والطلائع وبث العيون "[2] .

هذا ما يعلمنا إياه سيدنا المصطفى – ﷺ –، فمع خروجه إلى الحديبية بعث عينا له من خزاعة كما ورد في حديث المسور

(١) في ظلال السيرة الحديبية، محمد سليم العوا ص٣٢، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، محمد راكان الدغمي ص٣٤، ط: دار السلام، ط: الثانية ١٩٨٥م.

ابن مخرمة[١]- ﷺ - قال: " قَلَّدَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ "[٢].

ووصى عينه وهو بسر بن سفيان أو بشر بن سفيان الكعبي[٣] وقال له: " إِنّ قُرَيْشًا قَدْ بَلَغَهَا أَنّي أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَخَبّرْ لِي خَبَرَهُمْ ثُمّ الْقَنِي بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ "[٤].

ولم يكتف النبي - ﷺ - بذلك بل بعث قوة قوامها عشرين فارساً كمقدمة للجيش تذهب أمامه، فتستطلع له الأخبار[٥] وتأتيه بما يلزم من معلومات ليتخذ الخطة على أساسها.

وبالفعل أتته عيونه - ﷺ - التي بعثها بخروج قريش لملاقاة المسلمين وهو ما جعله - ﷺ - يغير طريقه إلى مكة.

---

(١) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الزهريّ، كان مولده بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان، وهو غلام أيفع ابن ست سنين، حفظ من النبي - ﷺ - أحاديث، وكان يلزم عمر بن الخطاب - ﷺ - توفي عام ٦٤هـ. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن عبدالبر ٩٥/٦)

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٢٤٣/٣١، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٠٩٠.

(٤) المغازي، محمد بن عمر السهمي أبو عبدالله الواقدي ٥٧٣/٢، ط: دار الأعلمي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، تحقيق: مارسدن جونس.

(٥) المرجع السابق ٥٧٤/٢.

يتضح لنا من ذلك كيفية قيادة النبي – ﷺ – الحكيمة في حرصه على استطلاع أخبار العدو حتى لا يفاجأ بما يسوءه ويسوء المسلمين، وفي هذا تعليم للدعاة في سيرهم في طريق الدعوة أن يعد للأمر عدته، ويعرف المدعوين وأخبارهم وطريقة تفكيرهم حتى يعرف من أين يبدأ دعوته.

حرص النبي – ﷺ – على مشاورة أصحابه:

ومن القيادة الحكيمة التي يعلمنا إياها سيد الخلق – ﷺ – أنه كان في غاية الحرص على مشاورة أصحابه، عملا بقول الله – ﷻ –: □ ّ ّ [1]، فهو أمر من المولى – ﷻ – للنبي – ﷺ – بمشاورة أصحابه " وذلك في غير أمر التشريع لأن أمر التشريع إن كان فيه وحي فلا محيد عنه ... فتعين أن المشاورة المأمور بها هنا هي المشاورة في شؤون الأمة ومصالحها، وقد أمر الله بها هنا ومدحها في ذكر الأنصار في قوله تعالى: نى ني □ [2].

وينفذ النبي – ﷺ – الأمر الإلهي في المشاورة، ضاربا في ذلك أروع الأمثلة، ومعلما لما يأتي بعده من أجيال، فقد أخبره عينه بما أعدت له قريش من جيوش، وما أرسلت به من سلاح وفرسان، على رأسها خالد ابن الوليد – ﷺ – فارس قريش في ذلك الزمان، فوقف النبي – ﷺ – خطيباً منادياً في المسلمين فقال: " أَمّا بَعْدُ، فكيف ترون يا معشر المسلمين فى هؤلاء الّذِينَ اسْتَنْفَرُوا إِلَيّ مَنْ أَطَاعَهُمْ لِيَصُدّونَا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؟ أَتَرَوْنَ

(١) سورة آل عمران من الآية: ١٥٩.

(٢) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤٧/٤، والآية: ٣٨ من سورة الشورى.

أَنْ نَمْضِيَ لِوَجْهِنَا إِلَى الْبَيْتِ فَمَنْ صَدّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نُخَلّفَ هَؤُلَاءِ الّذِينَ اُسْتُنْفِرُوا لَنَا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنُصِيبَهُمْ ؟ فَإِنْ اتّبَعُونَا اتّبَعْنَا مِنْهُمْ عُنُقٌ يَقْطَعُهَا اللهُ، وَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَحْزُونِينَ مَوْتُورِينَ! ".

فالنبي – ﷺ – هنا قبل أن يأخذ قراره يرى أن يكون القرار هو قرار الجميع، ذلك لأن القرار هو قرار الحرب، وهو قرار خطير، فما خرج المسلمون للحرب وإنما خرجوا معتمرين، ويجيبه سيدنا أبو بكر الصديق – ﷺ – ويقول: " اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! نَرَى يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نَمْضِيَ لِوَجْهِنَا فَمَنْ صَدّنَا عَنْ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ ".

ويأخذ النبي – ﷺ – برأي أبي بكر الصديق – ﷺ – ويغير الطريق بعيدا عن فرسان قريش، ويعلق سيدنا أبو هريرة على تلك الحادثة فيقول: " فَلَمْ أَرَ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – "[1].

إن هذه الحادثة دلالة دعوية عظيمة، حيث يستفاد منها أن على الداعية في قيادته الحكيمة ألا يدع مشاورة أصحابه وزملاءه من الدعاة، وكذلك مشاورة النابهين من المدعوين في العقبات التي تعرض له في طريق الدعوة.

معرفة أقدار الرجال والمهارة في التعامل معهم:

إن من أبرز الصفات في القيادة الحكيمة هي معرفة أقدار الرجال، حيث يساعد ذلك على حسن التعامل معهم، وكذلك حسن توظيفهم في المهمات

(١) انظر: المغازي للواقدي ٥٨٠/٣، ومسند الإمام أحمد – / – ٢٤٣/٣١، والسنن الكبرى للنسائي ١٧٠/٥، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م، تحقيق: د/ عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

التي تخدم الدعوة، يتضح هذا جلياً في موقفه من الرسل التي بعثتها قريش للنبي – ﷺ –.

فعندما جاءه مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ[١] أشار إليه النبي – ﷺ – وقال: " هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ "[٢].

وعندما جاءه – ﷺ – الْحليسَ بْنَ عَلْقَمَةَ[٣] قال النبي– ﷺ –: " إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ "[٤].

وكذلك عندما رأى سهيل بن عمرو[٥] قادماً قال: " قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ "[٦].

وكان لمعرفة النبي – ﷺ – أقدار الرجال من الأثر الكبير في تقييم

---

(١) مكرز بن حفص بن الأخيف، من بني عامر بن لؤيّ، من قريش: شاعر جاهلي، من الفُتاك. أدرك الإسلام. (الأعلام للزركلي ٢٨٤/٧، ط: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشرة ٢٠٠٢م).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٩٧٤/٢.

(٣) الحليس بن علقمة الحارثي، من بني الحارث بن عبدمناة بن كنانة: سيد (الأحابيش) ورئيسهم يوم أحد، وكان مع مشركي قريش ... وسماه ابن هشام في السيرة (حليس بن زبان) ثم قال: (الحليس بن علقمة أو ابن زبان) وكان أعرابيا. (الأعلام للزركلي ٢٧٠/٢).

(٤) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لفتح الدين بن سيد الناس ١٥٧/٢، ط: دار القلم بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٠٩٣.

(٦) عيون الأثر لابن سيد الناس ١٦٠/٢.

موقف كل منهم قبل أن يصل، ومعرفة ما يحمله وكيفية التأثير عليه، والدليل على ذلك موقف الحليس بن علقمة عندما " رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ، وَقَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – إِعْظَامًا لَمَا رَأَى.. وقال لهم: أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعَظِّمًا لَهُ! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ لتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ[1] نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: مَهْ، كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ "[2].

فموقف الحليس تغير تغيرا تاما بفضل معرفة رسول الله – ﷺ – وفهمه للأشخاص الذي بعثتهم قريش له، بل إن الحليس بدأ يأخذ موقفا معاديا لموقف قريش من رسول الله – ﷺ – وأصحابه في دخول مكة.

وهذا يدل على دلالة دعوية عظيمة على أن معرفة الداعي بالمدعوين وموقفهم من الدعوة يساعد الداعية على معرفة الطريق الأفضل للدعوة.

الرؤية البعيدة وتوخي تحقيق الهدف:

كذلك من صفات القيادة الحكيمة للداعية أن يستكشف ما وراء ما يراه وما يسمعه، ويعرف المدى والغاية والعواقب للأمور، جاعلاً هدفه نصب عينيه، وذلك بأن " يعرف هدفه تماماً ويفكر فيه بأحسن طريقة للوصول إليه، ثم يقرر خطة مناسبة للحصول عليه، وينفذ تلك الخطة جاعلاً هدفه الرئيسي وحده

---

(١) الأحابيش: هُم أحْياء من القَارَة انْضَمُّوا إلى بَني لَيْث في مُحارَبتِهم قُرَيشاً. والتَّحَبُّش: التَّجمُّع. وقيل: حالفوا قُريشاً تحت جبل يُسَمَّى حُبْشِيًّا فسُمُّوا بذلك. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ١/٣٢٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٢.

نصب عينيه دون أن تعيقه أو تغير خططه الأهداف الثانوية الأخرى"[١].

وهذا ما حدث مع نبينا – ﷺ – فقد كان هدفه هو دخول مكة معتمرا مسالما لا يتعرض له ولا للمسلمين أحد بأذى، وهو ما تم بعد ذلك، وكذلك أن يأمن الداخل في الإسلام على نفسه ولا يتعرض له أحد.

وبالرغم من الشروط التي رآها بعض الصحابة مجحفة في حق المسلمين إلا أن النبي – ﷺ – قبلها حتى يتحقق الهدف وهو دخول الناس في دين الله أفواجاً، وهو ما حدث بالفعل، ينقل الحافظ ابن حجر[٢]– / – عن الزهري[٣] قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنما كان

---

(١) الرسول القائد، محمود شيت خطاب ص١٨٥، ط: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ط: الثانية ١٩٦٠م.

(٢) هو شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود ابن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ولي القضاء بالديار المصرية والتدريس بعدة أماكن، صنف التصانيف التي عم النفع بها كشرح البخاري الذي لم يصنف أحد في الأولين ولا في الآخرين مثله وتعليق التعلق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق فيه أيضا وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة في الصحابة ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وغيرها الكثير توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. (انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٣، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ).

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، = =

الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم كلم بعضهم بعضا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر "[١].

ويظهر هذا جليا في دخول الناس أفواجا وتحقق الهدف من صلح الحديبية من " أن رسول الله – ﷺ – خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة ... ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف "[٢].

وفي هذا دلالة دعوية عظيمة نستشفها من تصميم النبي – ﷺ – على تحقيق هدفه الأعلى بالرغم من التضحيات الهينة واليسيرة في طريق التحقيق، ومن رؤيته – ﷺ – للأحداث ونتائجها من بعيد، وهو ما ينبغي للداعية في طريق دعوته أن يتعرف إلى هدفه ويتوخى تحقيقه ببذل ما يستطيع حتى تؤتي دعوته ثمارها.

تحمل المسؤولية:

إن من الجوانب المهمة في صلح الحديبية والتي تمثل القيادة الحكيمة في أبرز معانيها هي تحمل النبي – ﷺ – للمسؤولية في جميع القرارات

أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. ولد سنة خمسين للهجرة وقيل سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ست وخمسين وفد إلى عبدالملك بن مروان ولازمه، روى عن بعض الصحابة وجمع علما غزيرا، توفي– / – عام ١٢٤هـ وقيل ١٢٣هـ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٦/٥).

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤٤١/٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣٢٢/٢.

والأحداث التي حدثت في ذلك الصلح، وهو تعليم للدعاة بتحمل مسؤولية دعوتهم، وتحمل نتائج قرارتهم.

ونلحظ هذا التحمل للمسؤولية في كل لحظة وفي كل حادث يمر بالمسلمين من وقت خروجهم إلى وقت رجوعهم، فالنبي – ﷺ – هو الذ يقرر السير في أي طريق، بعد مشاورة أصحابه للطريق الأفضل، وعندما اشترطت قريش في الصلح شروطا رأى بعض صحابة النبي – ﷺ – أنها مجحفة للمسلمين، مثل ردهم من جاء إليهم مسلما، ورجوعهم هذا العام عن العمرة وعدم دخول مكة، وهي على بعدٍ قليلٍ منهم، وكان من هذا الفريق سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ – الذي جاء إلى النبي – ﷺ – يستفهم منه الأمر فقال: " أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي "(١).

فالنبي – ﷺ – قد أخذ قرار المصالحة وهو يرى ما لا يراه غيره لذلك فهو مستمسك برأيه متحملاً المسؤولية كاملة لم يتزعزع ولم يتراجع بالرغم من تلك المواقف، وهذا تعليم كبير للدعاة حتى يكونوا على قدر المسؤولية في تحركاتهم الدعوية.

من خلال هذا المطلب يتبين إن من أبرز الدلالات الدعوية في صلح الحديبية هي القيادة الحكيمة للنبي – ﷺ – –، والتي تعلم الدعاة كيفية السير في دعوتهم دون التفات إلى تثبيط المثبطين، وكيف يكون الداعية

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤.

عارفا بالمدعوين ومن يبدأ دعوته، وأن عليه التشاور في أمر الدعوة مع غيره من الدعاة الصادقين، أو مع المدعوين إن كان الأمر يتطلب ذلك، وكذلك ينبغي على الداعية أن يكون فاهما كيفية التعامل مع المدعوين، كما أن عليه أن يتعرف إلى هدفه ويتوخى تحقيقه ببذل ما يستطيع حتى تؤتي دعوته ثمارها، وكذلك متحملا نتيجة دعوته كاملة فهو قدوة لغيره من المدعوين.

المطلب الثاني

حرص الداعية على السلام

إن من الدلالات الدعوية المهمة المتعلقة بالداعي والمستنبطة من صلح الحديبية هي حرص الداعية على السلام ما كان لذلك سبيلاً، فهداية الناس والأخذ بزمامهم إلى رب العالمين هي مهمته المقدسة، والوقت الذي يشيع فيه السلام وعدم التعرض بالأذى للداعية أو المدعوين هو أثمن وقت للداعية، حيث القلوب مفتوحة لا يعيقها غل ولا ضغينة، ولا يقف في سبيل سماع الداعية عصبية أو عنصرية، ومن ثم كان حرص النبي – ﷺ – على السلام في هذا الصلح.

معنى السلام:

للسلام معانٍ متعددة ومنزلة جليلة في الإسلام، فهو اسم من أسماء الله – ﷻ –، وهو تحية المسلمين بينهم في الدنيا، وهو تحية المؤمنين في الجنة: □ بر □ □ بن بى بيتر □ □ تن تى تي □ □ □ [(١)].

أما معناه فهو: " المسالمة والمصالحة والمهادنة "[(٢)].

وعرف بأنه: " نبذ الخصومات بين الشعوب، والجماعات وقيام العلاقات بينهم على أساس من الاستقرار والطمأنينة "[(٣)].

---

(١) سورة يونس الآية: ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٧٤.

(٣) الإسلام فى حياة المسلم، د/ محمد البهى ص٤٨٢، ط: مكتبة وهبة، ط: الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

فالسلام إذن هو قيام حالة من الأمان بين الجانبين المتنازعين يأمن فيها كل واحدٍ صاحبه بناء على عهد أو صلح أو اتفاق.

الحرص على السلام في صلح الحديبية:

إن الدلالات الدعوية في الحرص على السلام في صلح الحديبية ليست دلالات عابرة، أو هي أمور غامضة، فنحمل العبارات والمواقف ما لا تحتمل حتى نستخرجها، بل هي دلالات واضحة وعميقة، يراها كل من يطالع الأحداث، يراها وقد شاعت في كل موقف من مواقف ذلك الصلح، وهو ما يهيب بالداعية الجنوح دائما إلى مواقف السلم وعدم الإثارة حتى تنجح دعوته، ومن تلك المواقف التي تجلى فيها حرص الداعية الأول – ﷺ – على السلام ما يأتي:

١- خروج النبي - ﷺ - والمسلمين معه والسلم شعارهم:

فقد خرج النبي – ﷺ – ومعه المسلمون وشعارهم السلم، فقد كانوا يرتدون ملابس الإحرام، يسوقون معهم الهدي، يقول ابن كثير: " وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له "[(١)].

فالنبي – ﷺ – والمسلمون يتطلعون إلى السلم وعدم الحرب، فليسوا هم بطلاب حرب ولا قتل، وإنما طلاب سلم وإصلاح وحفظ للدماء.

٢- تحويل النبي - ﷺ - الطريق عن لقاء فرسان قريش:

ومما يدل كذلك على حرص النبي – ﷺ – والمسلمون معه على السلام هو تحويل طريقه إلى مكة من طريق سهلة مسلوكة إلى طريق وعر بين

(١) البداية والنهاية ٤/١٦٤.

الجبال، فقد جاءه الخبر من عينه التي بعثها أن قريش قد خرجت للقاء رسول – ﷺ – فقال: " إن خالد بن الوليد بالغميم[١] في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين "[٢].

فكان رد النبي – ﷺ – رداً حاسما يبين الحرص على السلم مهما كلف الأمر من مشقة، وينعي على قريش ما فيها من تعصب وحمية جاهلية وتعطش للحرب رغم ما كلفتهم من أنفس وعدوات فيقول – ﷺ –: " يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة "[٣].

ثم ينادي النبي – ﷺ – برجل عارف للطرق يغير طريقهم تلك التي تعترضهم فيها قريش، وهو القادر على مواجهتهم ولكن ما جاء النبي – ﷺ – للقتال.

فدلهم رجل من أسلم على طريق وعر شق عليهم حتى أفضوا إلى الحديبية أسفل مكة[٤].

٣- بيان النبي - ﷺ - حرصه على تجنب الحرب:

---

(١) الغميم: تقع جنوب عسفان بستة عشر كيلو، على الطريق إلى مكة وتبعد عن مكة أربعة وستين كيلو، وتعرف اليوم ببرقاء الغميم. (انظر: معجم العالم الجغرافية، عاتق بن غيث البلادي ص٢٦٤).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٠٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/٣١٠.

وذلك عندما بركت ناقة النبي – ﷺ – القصواء، على حدود مكة المكرمة، وقد قطعوا كل هذا الطريق من أجل العمرة، والطواف بالبيت، وهاهم على مقربة منه، ولكن " بركت راحلته، فقال الناس: حل حل[1]، فألحت، فقالوا: خلأت[2] القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي – ﷺ –: " ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل "[3].

إن النبي – ﷺ – يبين أن هناك أمراً إلهياً للناقة بألا تغادر مكانها، فليس من خلق ناقته – ﷺ – عدم الاقدام، وإنما هو ترتيب لأمر إلهي علمه النبي – ﷺ –.

ثم يبين النبي – ﷺ – بعد هذا الموقف حرصه على السلام وقبوله بأي خطة تطرحها قريش فيها حقن للدماء وعدم الحرب فيقول: " والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها "[4].

إن المتأمل في كلام النبي – ﷺ – هذا يجد فيه " إعلانا صريحاً منه – ﷺ – بأنه مستعد (من أجل حقن الدماء في الحرم) للتفاوض مع قريش إلى أبعد الحدود، وأنه سيبذل كل ما في وسعه للحيلولة دون إراقة الدماء ما

(١) حل حل: صوت تزجر به الناقة.
(٢) خلأت: حزنت وتصعبت.
(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤.
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

وجد إلى ذلك سبيلاً "[1].

وهكذا كان النبي – ﷺ – حريصا على السلام بالرغم من عناد قريش وعنفوانها.

٤- الرسول - ﷺ - يبلغ قريشاً نواياه السلمية:

ومن المواقف التي تبين حرص النبي – ﷺ – على السلام إرساله إلى قريش يبلغها نواياه السلمية، فقد أرسل خراش بن أمية الكعبي[2]– رضي الله عنه – " على جمل لرسول الله – ﷺ – يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عن رسول الله – ﷺ – ما جاء له، ويقول: إنما جئنا معتمرين، معنا الهدي معكوفا، فنطوف بالبيت ونحل وننصرف "[3].

ولكن القرشيون قد أخذ بهم الغضب والحمية فتلقوا خراشاً فهاجمه سفهائهم وعقروا ناقته لولا أن أنقذه عقلائهم.

ولكن النبي – ﷺ – لم ييأس فأرسل سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – مبعوثا للسلام وأمره قائلا: " اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي ننحره وننصرف"[4].

---

(١) صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل ص١٦٤، ط: دار الفكر، ط: الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٢) خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي، مدني، شهد مع النبي –ﷺ– الحديبية، وخيبر، وما بعدهما من المشاهد ... وتوفي خراش هذا آخر أيام معاوية. (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/١٦٠، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبدالموجود).

(٣) مغازي الواقدي ٢/٦٠٠.

(٤) المرجع السابق ٢/٦٠٠.

فالنبي – ﷺ – لا يريد حربا وإنما جاء مسالما يطوف بالبيت هو وصحبه ويؤدون عمرتهم ثم يؤوبون إلى المدينة مرة أخرى.

٥- قبول النبي - ﷺ - لشروط قريش رغم ما يبدو منها من إجحاف بحق المسلمين:

لقد كان النبي – ﷺ – قادرا على غزو قريش لو أراد، ولكن مع ذلك يفتح باب السلم على مصراعيه حتى تنتشر الدعوة وتنساب في الناس انسياب الماء، فقبل ما اشترطت قريش، وقبل بالرجوع إلى المدينة وعدم الطواف بالبيت الحرام القريب منه، وقبل أن يعيد من يأتيه منهم مسلما، ولا يعيدون هم من ارتد من المسلمين، بل وقبل أن تمحى صفته بكونه رسول الله من المعاهدة، ففي سيرة ابن هشام: " دعا رسول الله – ﷺ – علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه –، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله – ﷺ –: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله – ﷺ –: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو "(١).

إن النبي – ﷺ – كان يعلم أن باب السلم للدعوة أفضل من باب الحرب، وأنه في وقف الحرب مع قريش وقف للعداوة والبغضاء وأن الدعوة ستسير سيرا سريعا؛ لأن السلم وإن لم يفتح البلاد فقد فتح القلوب، وهذا ما عبر عنه سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – بقوله: " ما كان فتح في الإسلام أعظم من

(١) سيرة ابن هشام ٣١٧/٢.

فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون، والله – تبارك وتعالى – لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد الله. لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجه قائما عند المنحر يقرب إلى رسول الله – ﷺ – بدنه، ورسول الله – ﷺ – ينحرها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، وأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، ويأبى أن يكتب أن محمدا رسول الله، فحمدت الله الذي هداه للإسلام"[1].

من هذا يتبين أن من أبرز الدلائل الدعوية في صلح الحديبية حرص الداعية على السلام، وتجنبه كل ما يثير الفتن، وعلمه بأن أقرب طريق لقبول الدعوة هي طريق الود والسلام لا طريق التفجير وشن الحروب.

(١) مغازي الواقدي ٢/٦١٠.

المطلب الثالث

الرفق بالمدعوين

من الدلالات الدعوية التي كانت لها أثر كبير في الدعوة والتي ظهرت بوضوح في صلح الحديبية هي الرفق بالمدعوين، حيث أن الرفق يلين القلوب القاسية، ويهدئ النفوس الثائرة، ويقرب بين الداعي والمدعو، فيحمل في طياته الاستجابة والخضوع للدعوة؛ لأن النفوس جبلت على حب الإحسان، وكرم التعامل والرحمة والعطف، وهو ما يتبين في هذه الحادثة.

معنى الرفق:

الرفق يدل على اللين والرحمة وعدم الغلظة ومن ثم عرف بتعريفات تشمل هذه المعاني حيث عرف بأنه: " هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف "[(١)].

فالرفق تجنب للعنف، وتجنب للغلظة، وتجنب لكل ما ينفر المدعو، ويفسر هذا الإمام أبو حامد الغزالي[(٢)] – / – فيقول: " اعلم أن الرفق محمود

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٠.

(٢) هو الإمام الفقيه الشافعي الأصولي المتصوف، الشاعر الأديب أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي ولد عام ٤٥٠هـ بطوس، والغزالي نسبة إلى غزل الصوف، وهى مهنة أبيه، أو إلى غزالة قرية من قرى طوس، من أشهر مؤلفاته إحياء علوم الدين، والأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية والأدب في الدين، توفى عام ٥٠٥ بطوس. (انظر: طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين بن علي ابن عبدالكافي السبكي ١٩٣/٦، ط، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ، ط: الثانية، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبدالفتاح محمد الحلو، =

ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة "[1].

والرفق أيضاً هو " اليسر في الأمور والسهولة في التوصل إليها "[2].

إذن فالرفق يحمل كل المعاني والأفعال الطيبة والسهلة في المعاملة مع الناس ومخالطتهم، مما يفتح القلوب ويلينها.

الرفق بالمدعوين في صلح الحديبية:

لقد كان الرفق هو من شمائل المصطفى – ﷺ – وخصائصه التي اختصه بها رب البرية، وفي مواقفه في الرفق في صلح الحديبية تعليم للمسلمين كيف يكون الرفق بالناس، ولقد برز رفق النبي – ﷺ – بالمدعوين في صلح الحديبية في كثير من المواقف منها:

موقفه من سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ – عندما دخل عليه مستفسراً بعد كتابة الصلح، وهو مغتاظ من المشركين " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ: " بَلَى ". قَال: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِى الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِى النَّارِ ؟ قَالَ: " بَلَى ".

قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فِى دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ: " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِى اللَّهُ أَبَدًا ". قَالَ فَانْطَلَقَ

= وموسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٧٨٦، إشراف: د/ محمود حمدي زقزوق، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١٨٥/٣، ط: دار المعرفة، بيروت.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢١٩، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم.

عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِى الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِى النَّارِ ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فِى دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ ؟ قَالَ « نَعَمْ ». فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ "(١).

فسيدنا عمر – ﷺ – يراجع النبي – ﷺ – ويستفهم منه كيف نعطي هذه الشروط للمشركين ؟ أو لسنا على الحق ؟ وهذا الأمر نابع من شخصية سيدنا عمر – ﷺ – وقوته في نصرة الحق، ولذلك " قال العلماء: لم يكن سؤال عمر – ﷺ – كلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف من خلقه – ﷺ – وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين "(٢)، فهو غاضب للدين، وناقم على المشركين، كيف يرد إليهم من جاء المسلمين مؤمناً ؟ وهم لا يعاملون المسلمين بالمثل فلا يردون من جاءهم مرتداً، فهو لم يدرك المرمى البعيد بعد لهذا الصلح الذي سماه المولى فتحاً.

ولكن النبي – ﷺ – الشفيق الرفيق يتلقاه بكل أناة ورفق، فيجيبه نعم نحن على الحق ولكن هذا الأمر تم برضا الله – ﷻ – وأنا رسوله ولن

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب٢/٩٧٤، والإمام مسلم في صحيحه (واللفظ له)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في صلح الحديبية ٣/١٤١١.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢/١٤١.

يضيعني، حتى يطيب نفسه.

فلم يغضب النبي – ﷺ – من سيدنا عمر وإنما أخذه بكل رفق ولين ليبين له الأمر، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الداعية مع المدعوين، فلا يغضب من سؤالهم له وإنما يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمورهم.

وبعدما نزلت سورة الفتح تبين أن هذا الصلح إنما هو فتح من الله – ﷻ – دعا النبي – ﷺ – عمر – رضي الله عنه – فقرأ السورة عليه فقال عُمَرَ – رضي الله عنه –: " يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ ".

ومن مواقفه – ﷺ – في الرفق بالمدعوين كذلك، موقفه من المسلمين لما أمرهم بالتحلل ونحر الهدي فقد قال النبي – ﷺ – " لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا. قَالَ فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا "(١).

فالنبي – ﷺ – وهو نبي الرحمة يأمر أصحابه بالحق والنحر بعد إتمام الصلح، ولكنهم كأنهم لم يسمعوا كلام النبي – ﷺ – ذلك أنه " لم يتوقع المسلمون الصلح بهذه السرعة ولم يتصوروا رجوعهم إلى المدينة بلا عمرة؛ لأنهم خرجوا من المدينة لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤.

– ﷺ –. ولم يتصوروا أبدًا مقدرة المكيين على منعهم من أداء العمرة "[١].

ودخل النبي – ﷺ – على أم سلمة – ك – ولم يكلمهم، ولكنه غاضب منهم، وظاهر ذلك في وجهه " فاضطجع، فقالت: مالك يا رسول اللَّه ؟ مرارا، وهو لا يجيبها، ثم قال: عجبا يا أم سلمة، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مرارا، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك، وهم يسمعون كلامي، وينظرون في وجهي "[٢].

فهو يخاف على المسلمين إن دعا عليهم هلكوا، ويشفق عليهم من معصية نبيهم، ويرفق بهم وهم لا يعلمون عاقبة الصلح كما يعلم، ومن ثم أشارت عليه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بأمر فيه الرفق كله، فقالت: فقالت: يا رسول اللَّه، انطلق أنت إلى هديك فانحره، فإنّهم سيقتدون بك، فاضطبع بثوبه وخرج، فأخذ الحربة ويمم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعا صوته: بسم اللَّه واللَّه أكبر. ونحر[٣].

وما كان من الصحابة ! إلا الامتثال لفعل النبي – ﷺ – لما رأوا اقتناعه وانبساط وجهه، ورفقه بهم، وهو الأمر اللازم للدعاة من تخير أرفق الأمور بالمدعو، وعدم المشقة عليه، فإن ذلك سبب كبير في جلب المدعوين إلى ساحة الإيمان، وصدق رسول الله – ﷺ – إذ يقول: " إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ

---

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، د/ أحمد أحمد غلوش ص٤٩٣، ط: مؤسسة الرسالة. ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ٢٩٧/١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ "[1].

من هذا يتبين أن الرفق بالمدعوين من أبرز الدلالات الدعوية التي ظهرت في صلح الحديبية، والتي يجب على الدعاة التحلي بها.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر ولصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٤/٢٠٠٤.

المبحث الثاني
أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعوين

إن هذا الحادث العظيم في تاريخ الدعوة الإسلامية ليتضمن العديد من الدلالات الدعوية العظيمة المتعلقة بالمدعو، فلقد كان للصحابة حول النبي – ﷺ – مواقف كريمة يظل المسلمون في كل زمان ومكان يتخذونها نبراسا يسيرون على هداه، ونهجاً يستقيم به حال المسلمين إن تطاول بهم الزمن واعتورتهم الأحداث والخطوب، وفي هذا المبحث يتبين العديد من هذه الدلالات المهمة المتعلقة بالمدعو والذي جاء في عدة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: تعظيم النبي – ﷺ – وطاعة أوامره.

المطلب الثاني: التضحية والفداء من أجل الدعوة.

المطلب الثالث: حسن المشورة.

المطلب الأول

تعظيم النبي - ﷺ - وطاعة أوامره

من الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعوين والتي تظهر بصورة بالغة الوضوح في حادثة صلح الحديبية هي تعظيم صحابة النبي - ﷺ - للنبي والتسابق على تنفيذ أوامره وطاعته، حيث ملأت محبته قلوبهم، ومزجت مهابته في نفوسهم، فكانوا كما قال سيدنا عمرو بن العاص[(١)]- ﷺ -: " وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِى مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَىَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَىَّ مِنْهُ "[(٢)]، وهذا من حقوق النبي - ﷺ - على أمته أن يعظموه وأن يوقروه كما قال المولى- ﷻ -: ﱡ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ * ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ[(٣)].

ومعنى (ﱋ ﱌ) أي تعظموه، يقول القاضي عياض[(٤)]:

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعد القرشى السهمى يكنى أبا عبدالله، وقيل أبو محمد، أسلم سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر استعمله رسول الله على عمان، فلم يزل بها إلى أن توفى رسول الله - ﷺ - واستعمله معاوية على مصر إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين هـ، وقيل: ثمان وأربعين. (انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥٠٧/٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١١٢/١.

(٣) سورة الفتح الآيتان: ٨، ٩.

(٤) هو الامام عياض: بن موسي بن عياض أبو الفضل اليحصبى، الإمام الحافظ العلامة صاحب الشفاء وترتيب المدارك ومشارق الأنوار والإكمال فى شرح مسلم= =

" فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره، وألزم إكرامه وتعظيمه، وقال ابن عباس: تعزروه تجلوه، وقال المبرد: تعزروه تبالغوا في تعظيمه "[1].

وفي صلح الحديبية – كما هو في كل سيرة النبي – ﷺ – ظهرت المواقف العظيمة لصحابة النبي – ﷺ – في تعظيمه وتوقيره والمسارعة إلى طاعته وتنفيذ أوامره، ومن هذه المواقف موقفين عظيمين يدلان دلالة جلية على ما كان للصحابة مع النبي – ﷺ – تعظيم وتوقير وحب فوق النفس والولد والمال وطاعة، هذان الموقفان هما ما يلي:

أولاً: ما رآه عروة بن مسعود – ﷺ – [2]:

إن لتعظيم الصحابة للنبي – ﷺ – وطاعة أوامره قد أخذ بلب المشركين

وغيرها مات ٥٤٤هـ (انظر تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ٤/ ١٣٠٤، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – ﷺ – للقاضي عياض ٣٥/٢، ط دار الفكر ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٢) عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، وهو عمّ والد المغيرة بن شعبة. كان أحد الأكابر من قومه. وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية. لما صدر أبو بكر – ﷺ – من الحجّ سنة تسع قدم عروة بن مسعود الثقفي على النبيّ – ﷺ – فأسلم، وفي رواية ابن إسحاق أنه اتبع أثر النبيّ – ﷺ – لما انصرف من الطائف فأسلم، وأستأذنه أن يرجع إلى قومه، فقال: " إنّي أخاف أن يقتلوك " قال: لو وجدوني نائما ما أيقظوني، فأذن له فدعاهم إلى الإسلام، ونصح لهم فعصوه، وأسمعوه من الأذى فلما كان من السّحر قام على غرفة له فأذّن، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله. فلما بلغ ذلك النبيّ – ﷺ – قال: «مثل عروة، مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى اللّه فقتلوه». (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤٠٧/٤).

ودفعهم للتفكير في أمر الدعوة، يتبين هذا من كلام عروة ابن مسعود – ﷺ – حينما وفد على النبي – ﷺ – ورأى هذا التعظيم وهذه الطاعة وهذه المهابة للنبي – ﷺ – بينهم فرجع بوجه غير الذي ذهب به وأحدث في نفسه تأثرا بالدعوة.

فقد ذهب عروة – ﷺ – إلى النبي – ﷺ – مفاوضاً من طرف قريش، فجلس إلى النبي – ﷺ – وقال: " أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ – ﷺ –: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ. فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ – ﷺ – فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ – ﷺ – قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ – ﷺ – وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ – ﷺ – ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ: لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – " (١).

ثم عبر عروة بن مسعود – ﷺ – عن هذا الذي رآه من صحابة النبي – ﷺ – ومن شدة التعظيم والطاعة، ومكانة النبي – ﷺ – بينهم فقال كلاما نفيساً لما رجع إلى قومه،يصف به ما رآه فقال: " أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ – ﷺ – مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٢/٩٧٤.

نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا "(١).

إن هذا الوصف من تعظيم المدعوين للنبي – ﷺ – وطاعة أوامر هو ما ينبغي أن يكون عليه لمسلمون في كل زمان ومكان، فإن هذا المهابة والتوقير لتدفع غير المسلمين دفعاً للتفكير في أمر هذه الشخصية العظيمة التي يعلم المسلمون قدرها ومكانتها عند الله – ﷻ – وعندهم.

ثانياً: طاعة الصحابة للنبي – ﷺ – في الرجوع عن آداء العمرة:

بالرغم من التهيؤ النفسي والشوق الشديد للحرم، وبعد الوصول إلى حدود مكة المكرمة عقب ما قاساه النبي – ﷺ – وصحابته – رضوان الله عليهم – في مسيرهم، وقد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق ما خرجوا من أجله، إلا أن النبي – ﷺ – وبوحي من الله تعالى يختار الصلح والرجوع هذا العام، وكان هذا أمراً شاقاً على نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – فقد " عظم ذَلِك على الْمُسلمين حَتَّى كَانَ لبَعْضهِم فِيهِ كَلَام. وَكَانَ رَسُول اللَّهِ – ﷺ – أعلم بِمَا علمه اللَّه من أَنه سَيجْعَلُ للْمُسلمين فرجا، فَقَالَ لأَصْحَابه: " اصْبِرُوا فَإِن اللَّه يَجْعَل هَذَا الصُّلْح سَببا إِلَى ظُهُور دينه "(٢).

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٢/٩٧٤.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر ص١٩٣، ط: دار المعارف ١٤٠٣هـ، تحقيق د/ شوقي ضيف.

وهنا تتجلى طاعة المسلمين للرسول – ﷺ – بالرغم من العوامل النفسية الهائجة، والتي نتجت عن عدم ادراك الحكمة من الذهاب إلى الحرم والعودة بدون دخوله، حتى ظن سيدنا عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– أن هذا إعطاء للدنية في الدين فقال: " يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ: " بَلَى ". قَال: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِى الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِى النَّارِ؟ قَالَ: " بَلَى ".

قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فِى دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ: " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِى اللَّهُ أَبَدًا "[1].

بل إن النبي – ﷺ – أمر أصحابة فقال: " قوموا فانحَرُوا ثُمَّ احلِقوا"[2]. ولكنهم كانوا مشغولين نفسياً كأنهم لم يسمعوا كلام النبي – ﷺ – يقول الحافظ ابن حجر –: " ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم من ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور "[3].

ولكنهم ما أن رأوا النبي – ﷺ – يحلق وينحر هديه حتى تواثبوا يحلقون ويقصرون وينحرون طاعة لأمر الله ولأمر النبي – ﷺ –، وهنا يظهر هذا التعظيم وهذه الطاعة في أجلى صورها.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٩٢/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٩٧٤/٢.

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ٣٧٤/٥.

المطلب الثاني

التضحية والفداء من أجل الدعوة

إن من أبرز ما يلحظ من دلالات في وقائع صلح الحديبية خاصة بالمدعوين هذه التضحية وهذا الفداء من أجل الدعوة من جانب الصحابة ! فقد كانوا مثل المشاعل التي تحترق من أجل أن تنير لغيرها، أو مثل الشموس التي بددت الظلام الحالك الذي تعيش فيه البشرية، وإذا كانت التضحية معناها " بذل كل ما نملك وما نستطيع من أجل حماية الدين والوطن والأرض والعرض والأمة الإسلامية "[1] فإن الصحابة ! قدموا المثل الأعلى في التضحية والفداء مما يعد نموذجا وأسوة للمدعوين اتباع آخر رسالات السماء، ومن تلك النماذج التي ظهرت في صلح الحديبية – وما أكثرها من نماذج – ما يلي:

خروج الصحابة مع النبي – ﷺ – بالرغم من التحديات الهائلة:

لما أمر النبي – ﷺ – المسلمين بالخروج معه للعمرة لبى المسلمون ذلك الخروج وهم يعلمون مدى التحديات التي تواجههم في تلك الرحلة الشاقة، وفي ذلك التاريخ الذي لم يجاوز العام الواحد على محاولة قريش ومن معها بغزو المدينة في غزوة الأحزاب ومعها عشرة الآف مقاتل، " فكيف يتحرك هذا الجمع الضئيل من المئات إلى مشارف مكة. ولا شك أن الدافع الإيماني القوي هو الذي حدا بالمسلمين إلى الاستجابة. إذ أن رسول الله – ﷺ – قص عليهم رؤياه أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت،

(١) رجال من التاريخ للأستاذ/ علي الطنطاوي صـ١٧، ط: مؤسسة الرسالة، ط: السادسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

وعرف مع المعرفين، وإنها لجرأة متناهية أن يغامر المسلمون بألف وخمسمائة رجل يتجهون بهم إلى مكة التي تعلن الحرب عليهم "[١].

وليس هذا بمستغرب على المسلمين إذ أن الفداء والتضحية من أجل الدين أمر يخالط النفوس والقلوب، وهو أمر تعودوا عليه فقد خاضوا حرباً ضروساً ضد قريش في بدر وكان عددهم ثلث عدد المشركين تقريباً.

ولم تقف التحديات التي واجهت المسلمين في وقعة الحديبية عند ذلك بل واجهوا حربا نفسية شديدة لولا ثباتهم وتضحياتهم لانهزموا أمامها، فقد ترامى إلى سمع ذلك الجيش من المسلمين وقائدهم النبي - ﷺ - من أحد عيونه أن " هذه قريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم "[٢].

فقريش تقف للمسلمين في طريقهم إلى مكة، ولن تدعهم يعبروا إليها، وفي مخيلة الجيش الإسلامي ما كانت عليه قريش منذ عام بصلفها وغرورها وتكبرها وتجبرها وما أقدمت عليه من حصار المدينة المنورة بصاحبها - ﷺ - حتى زلزت النفوس والقلوب كما جاء في وصف الله تعالى لذلك فقال:

[٣].

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان ١٦/٣، ط: مكتبة المنار – عمان – الأردن، ط: السادسة ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٩/٢.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ١٠، ١١.

لقد وصفت هاتين الآيتين ما وقع للمسلمين في تلك الغزوة وما أصابهم فيها يقول أ.د/ محمد سيد طنطاوي – / –[1]: " هذا بيان لما أصاب المسلمين من بلاء بسبب إحاطة جيوش الأحزاب بهم. والحناجر: جمع حنجرة، وهي جوف الحلقوم، والمراد أن قلوبكم فزعت فزعا شديدا، حتى لكأنها قد انتقلت من أماكنها إلى أعلى، حتى قاربت أن تخرج من أفواهكم.

فالآية تصور ما أصاب المسلمين من فزع وكرب في غزوة الأحزاب، تصويرا بديعا مؤثرا، يرسم حركات القلوب، وملامح الوجوه، وخلجات النفوس "[2].

بهذه الصورة سمع المسلمون ما أعدت لهم قريش " وعندما يسمع جيش هذا الوصف لتحرك قريش بشيبها وشبابها ونسائها وأطفالها لمواجهة محمد – ﷺ – لا بد أن يصيبه الذعر ويتخلخل من الرعب وتنتشر به الفوضى وصراع الآراء "[3].

ولكن الجيش الإسلامي والمسلمون جميعاً لا يهمهم كثرة العدو ولا عتاده، ولا يهابونهم ولا يخافون منهم؛ لأن الإيمان بنصر الله – ﷻ –

---

(١) الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: ولد الدكتور/ محمد سيد طنطاوى يوم ٢٨ أكتوبر لعام ١٩٢٨م فى قرية سليم الشرقية بمحافظة سوهاج، عُين مفتيًا للديار المصرية فى ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦م حتى تم تعيينه فى ٢٧ مارس ١٩٩٦م شيخًا للأزهر. توفي في ١٠ مارس عام ٢٠١٠م. (جريدة الأهرام المصرية جمادي الاولى ١٤٣٧ هـ ٩ مارس ٢٠١٦ السنة ١٤٠ العدد ٤٧٢١٠).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي ١٨٣/١١، ط: دار نهضة مصر، ط: الأولى ١٩٩٨م.

(٣) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان ١٦/٣.

متغلغل في القلوب والنفوس، يدفع إلى التضحية والفداء، وهي دلالة هامة للمسمين في كل عصر، أن يجعلوا ثقتهم في الله وأنه ناصرهم ما داموا ينصرون دينه، مما يدفعهم للثقة في أنفسهم ومجابهة أعدائهم.

الذهاب إلى مكة لتبليغ رسالة النبي – ﷺ – رغم المخاطر:

ومن دلالات التضحية والفداء من أجل الدعوة في صلح الحديبية مخاطرة صحابيان جليلان بالذهاب لمكة لتبليغ رسالة النبي – ﷺ – بالرغم من علمهما مدى المخاطر التي يمكن أن يتعرضوا لها والتي قد تنتهي بالقضاء عليهما.

فقد بعث النبي – ﷺ – الصحابي الجليل خراش بن أمية[1]– رضي الله عنه – سفيرا له يبلغ رسالته إلى " قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله – ﷺ – وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله – ﷺ – " [2].

فهذا الرجل لولا منع الأحابيش له لقتله المشركون في مكة، ولكن لتضحيته وفداءه ذهب إلى مكة وهو يعلم المخاطر التي قد تحيط به، ومع أن الرسل لا تقتل إلا أن قريش قد جن جنونها.

ثم بعث النبي – ﷺ – سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – إلى قريش ليبلغ رسالة النبي – ﷺ – إليهم، وبالرغم من علمه بما جرى لسلفه خراش

---

(١) هو الصحابي الجليل خراش بن أمية الكعبي الخزاعي، شهد بيعة الرضوان وحلق رأس النبي – ﷺ – يومئذ، وتُوُفّي في آخر أيام معاوية. (تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨٦/٢، ط: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى ٢٠٠٣م، تحقيق: بشار عوّاد معروف).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٧/٤.

ابن أمية – ﷺ – إلا أنه ذهب لإتمام المهمة التي كلفه بها النبي – ﷺ – وقال له: " اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَخَبِّرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جِئْنَا زُوَّارًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمِينَ لِحُرْمَتِهِ مَعَنَا الْهَدْيُ نَنْحَرُهُ وَنَنْصَرِفُ "(١).

وينطلق سيدنا عثمان إلى مكة لتنفيذ أوامر النبي – ﷺ – بتبليغ رسالته لا يمنعه من مهمته خوف من قريش ولا صلفها ولا تكبرها، فيمضي إليهم فيلقاهم بمكان يقال له "بلدح"(٢) فبلغهم رسالة النبي – ﷺ – فردوا عليه قائلين: " قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ وَلَا كَانَ هَذَا أَبَدًا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً فَارْجِعْ إِلَى صَاحِبِك فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إلَيْنَا "(٣).

وكاد سيدنا عثمان أن يرجع ولكن قابله أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ – ﷺ – (٤)، فَرَحّبَ بَهْ وَأَجَارهُ وَقَالَ لَا تُقَصّرْ عَنْ حَاجَتِك ثُمّ نَزَلَ عَنْ فَرَسٍ كَانَ عَلَيْهِ فَحَمَلَ عُثْمَانَ عَلَى السّرْجِ وَرَدَفَهُ وَرَاءَهُ فَدَخَلَ عُثْمَانُ مَكّةَ، فَأَتَى أَشْرَافَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا "(٥)، وبلغهم رسالة النبي– ﷺ – وردوا عليه الرد نفسه بأنهم لا يمكنهم أن يسمحوا لرسول الله –ﷺ– وصحبه أن يدخلوا مكة عنوة.

ثم تريد قريش هنا أن تختبر ولاء عثمان – ﷺ – للنبي – ﷺ – فيقولون له: " إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال: ما كنت لأفعل حتى

(١) المغازي للواقدي ص٦٠١.
(٢) واد بمكة من جهة المغرب. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٤٨٠).
(٣) المغازي للواقدي ١/٤٨٠.
(٤) سبقت ترجمته ص ٤٠٩٢.
(٥) المغازي للواقدي ١/٤٨٠.

يطوف به رسول الله – ﷺ – واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله – ﷺ – والمسلمين أن عثمان قد قتل "[1].

إن موقف عثمان هذا ليدل أبلغ دلالة على أدب الصحابة والمدعوين من النبي – ﷺ –، وعلى ذلك الإيمان الذي يخالط شغاف القلوب والذي يدفع إلى التضحية والفداء، فالكعبة التي خرج من المدينة يسوق الهدي مع النبي – ﷺ – شوقا إليها، الكعبة هاهي على مرمى البصر، والمشركون من أهله وعشيرته يرحبون به ويرغبونه في الطواف حولها، رغم كل هذا لا يكون في فكره إلا كيف يطوف بها ورسول الله – ﷺ – لم يطف بها بعد.

بيعة الرضوان:

إن من أبرز المواقف في صلح الحديبية التي تدل على التضحية والفداء من جانب المدعوين من أجل الدعوة تلك البيعة التي تسابق الصحابة إليها والتي سميت ببيعة الرضوان.

لقد بلغ المسلمون أن عثمان قتل في مكة قتلته قريش فنادى رسول الله – ﷺ – بالبيعة فلقد قال النبي – ﷺ –: " لَا نَبْرَحُ حَتّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ، فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ – ﷺ – النّاسَ إلَى الْبَيْعَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرّضْوَانِ تَحْتَ الشّجَرَةِ، فَكَانَ النّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللّهِ – ﷺ – عَلَى الْمَوْتِ وَكَانَ جَابِرُ ابْنُ عبداللّهِ – ﷺ – يَقُولُ: إنّ رَسُولَ اللّهِ – ﷺ – لَمْ يُبَايِعْنَا عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرّ "[2].

لقد سارع الصحابة أصحاب الفداء والتضحية إلى تلبية أمر النبي في

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٧/٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام٣١٥/٢.

البيعة، وعلى أي شيء يبايعون ؟ يبايعون الله بأرواحهم وأنفسهم وكل ما يملكون، يدفعونها رخيصة في جنب الله – ﷻ – ورخيصة في سبيل إعلاء هذا الدين، وهكذا المدعوون في كل زمان ومكان، يفدون الدعوة بأرواحهم وأموالهم، إذا دعاهم ولي أمرهم إلى البيعة وإلى نصرة الدين.

لقد أنزل الله – ﷻ – قرآناً يتلى إلى يوم الدين يذكر المسلمين في كل زمان ومكان بهذه البيعة المباركة وهذه الحادثة الخالدة في تاريخ المسلمين، وهذه التضحية العظيمة والفداء المبارك فقال – ﷻ –: □ نى ني □ ير □ [(١)].

لقد كان في هذه البيعة عبرا عظيمة ودلالات باهرة لقد " كشفت هذه البيعة المباركة عن مدى تضامن المسلمين وإخلاصهم وحبهم لنبيهم– ﷺ – وتضحيتهم في سبيل العزة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق والدين، ويكفي أن نعلم أن المسلمين كانوا يتسابقون إلى هذه البيعة، ويعاهدون الله وهم يضعون أيديهم في يد الرسول – ﷺ – أن يستقبلوا الموت وهم راضون، حتى يأخذوا بثأر عثمان ويرغموا قريشًا على الخضوع لهم والاستجابة لما يريدون"[(٢)].

يتبين من هذا أن التضحية والفداء كانتا سمة بارزة في صلح الحديبية من قبل المدعوين، وذلك أسوة للمدعوين في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة الفتح الآية ١٨.

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د/ محمد الطيب النجار ص ٣١٥، ط: دار الندوة الجديدة – بيروت ١٤١١هـ.

المطلب الثالث

حسن المشورة

الشورى من القيم الكبيرة في المجتمعات الإنسانية، والتي يعتمد عليها في الوصول إلى السداد في الرأي، والصواب في الأمر، فهي تزيد إلى خبرة الإنسان خبرات متعددة، وتزيد إلى عقله نتائج عقول أخرى.

وتعرف الشورى بأنها: " استنباط المرء الرّأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئيّة الّتي يتردّد المرء فيها بين فعلها وتركها " [(١)].

والشورى تمارس على كل المستويات فتمارس على مستوى المجتمع، بتخصيص طائفة من المستشارين كما ورد في القرآن الكريم عن ملكة سبأ في قوله تعالى: " □ ﺠ □ ﺤ □ ﺨ □ □ □ □ ﺴ □ □ □ □ [(٢)]

يقول الإمام القرطبي[(٣)]– / –: " الملأ أشراف القوم ... فأخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢٦٠، ط: دار السلام – القاهرة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي.

(٢) سورة النمل الآية: ٣٢.

(٣) القرطبى: هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى، ولد فى قرطبة من بلاد الأندلس ورحل إلى مصر واستقر بمنية ابن خصيب شمال أسيوط وتوفى ودفن بها سنة ٦٧١هـ،، من مؤلفاته: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى، الجامع لأحكام القرآن فى تفسير القرآن، التذكرة بأمور الموتى وأحوال الآخرة. (موسوعة أعلام الفكر الإسلامى ٨٣١/٦).

كل أمر يعرض ... قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف "[1].

وتمارس كذلك على مستوى الأسرة أو على مستوى الأفراد، فالمشورة نافعة في كل وقت وحين لا يستغني عنها فرد أو مجتمع.

والمشورة الحسنة والنصح للمستشار لا تكون إلا من أناس توافرت فيهم صفات الإخلاص والحكمة وسداد الرأي والمعرفة بالأمر الذي يبدي فيه مشورته، ومن ثم فقد قال العلماء ينبغي للمستشار " أن يكون صديقًا أمينًا مجربًا حازمًا ناصحا رابط الجأش غير معجب بنفسه ولا متلون في رأيه ولا كاذب في مقاله "[2].

وذلك حتى تكون المشورة حسنة والرأي صائباً.

حسن المشورة في صلح الحديبية:

لقد تمثلت الشورى في غزوة الحديبية في موقفين للنبي – ﷺ – استشار فيهما أصحابه، والمشاورة هذه ليست في أمور التشريع كما سبق بيان ذلك[3] وقد خرجت هاتان المشورتان بالرأي الصائب، وتحقيق المراد من مشاورة النبي – ﷺ – في تدريب أصحابه على المشاورة حتى تكون سنة عملية موروثة عن النبي – ﷺ – وهذان الموقفان كما يلي:

الموقف الأول: والذي تم عرضه سابقاً وهو مشاورة النبي أصحابه في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٣/١٩٤، ط: دار الكتب المصرية، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢١١.

(٣) انظر ص ٤١٠٣.

الهجوم على المشركين لما بلغه أن خيلا يقودها خالد بن الوليد – ﷺ – تترصد للمسلمين، فقد وقف النبي – ﷺ – خطيباً ثم قال:" أَمّا بَعْدُ، فكيف ترون يا معشر المسلمين فى هؤلاء الّذِينَ اسْتَنْفَرُوا إلَيّ مَنْ أَطَاعَهُمْ لِيَصُدّونَا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؟ أَتَرَوْنَ أَنْ نَمْضِيَ لِوَجْهِنَا إلَى الْبَيْتِ فَمَنْ صَدّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نُخَلّفَ هَؤُلَاءِ الّذِينَ اُسْتُنْفِرُوا لَنَا إلَى أَهْلِيهِمْ فَنُصِيبَهُمْ ؟ فَإِنْ اتّبَعُونَا اتّبَعْنَا مِنْهُمْ عُنُقٌ يَقْطَعُهَا اللهُ، وَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَحْزُونِينَ مَوْتُورِينَ! " [(١)].

ثم قام الصحابة يشيرون على النبي – ﷺ –، ويقومون بدورهم في إبداء النصح والتوجيه للقائد والداعية الأول، مما يسفر عن اتخاذ القرار الصائب الذي يبتغيه المسلمون ويحقق ما خرجوا من أجله.

فيقوم سيدنا أبو بكر – ﷺ – ويقول: " الله ورسوله أعلم! نرى يا رسول الله أن نمضي لوجهنا فمن صدنا عن البيت قاتلناه " ثم دارت بعد ذلك الآراء بين الصحابة حتى انتهوا إلى تغيير الطريق إلى مكة.

وهكذا كان الصحابة يدلون بآرائهم بين يدي النبي – ﷺ – بإخلاص وتفانٍ ورغبة في النصح للقائد والداعية وللأمة جميعاً، وهو ما يعد نموذجا فريدا للمدعوين في إبداء المشورة والنصح للداعية إذا عنّ له أمر يريد أخذ رأي المدعوين فيه.

أما الموقف الثاني: فقد كان من نصيب أم المؤمنين أم سلمة[(٢)] – ك –،

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٥٨٠.

(٢) أم سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبداللَّه بن عمرو بن مخزوم القرشيّة المخزوميّة أم المؤمنين، اسمها هند، واسم أبيها حذيفة، ويلقب زاد الراكب؛ لأنه = =

فقد دخل عليها النبي – ﷺ – وفي وجهه أثر الغضب، فقد قال " لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا. قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ "(١).

وهكذا تشير أم سلمة على النبي – ﷺ – لما رأته مهموماً من أمر المسلمين وعدم طاعتهم لقول نبيهم لعدم إدراكهم فوائد صلح الحديبية، فهي تعلم أن القدوة العملية أطوع لهم، وعندما يرون رسول– ﷺ – يحلق وينحر لن يتوانوا عن الاقتداء به، ومن ثم أشارت عليه بذلك، والنبي – ﷺ – يأخذ بمشورتها "فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ

كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزّاد، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانيّة، من بني فراس، وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبدالأسد بن المغيرة، فمات عنها فتزوجها النّبيّ – ﷺ – في سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وكانت ممن أسلم قديما هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة وكانت أم سلمة – ك – موصوفة بالعقل البالغ، والرأي الصّائب.

روت عن النّبيّ – ﷺ – وعن أبي سلمة، وفاطمة الزّهراء. اختلف في سنة وفاتها فقيل ماتت في شوال سنة تسع وخمسين، وصلّى عليها أبو هريرة – ﷺ –. وقيل: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي – ﷺ –. وقيل: توفيت في خلافة يزيد بن معاوية. وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً. (انظر: الإصابة في فتمييز الصحابة لابن حجر ٤٠٧/٨).

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٩٧٤/٢.

فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا "(١).

وهذا يبين أن للمرأة دور كبير في المجتمع، فهي تمثل نصف المجتمع، والنصف الآخر يتربى على يديها، فلا غرو أن كان لها الدور الكبير في الدعوة، فالمرأة في كل زمان تحمل الدعوة بين يديها إلى كل مكان، فكانت العالمة والمحدثة والمفسرة والراوية لأخبار النبي – ﷺ – إلى غير ذلك، وقد اتضح هذا الدور بصورة جلية في هذه المشورة من السيدة الفاضلة أم سلمة – ك –، وهي مشورة تدل على " نوازن دقيق، وإعطاء كل موقف ما يستدعيه، فليس الموقف موقف جدل وحوار، وليس موقف: تعالوا لأشرح لكم أهمية الصلح وفوائده، أو تعالوا لأقنعكم ببنوده، بل إن الموقف يستدعي من القائد أن يطبق أوامره على نفسه لتنقشع عناصر الإحجام والوجوم في نفسية الناس، إذا رأوا قائدهم ينفذ الأوامر على نفسه حتى ينزاح عنهم ما هم فيه من ذهول يصيب المرء عندما يحدث أمر لا يتوقعه "(٢).

لقد كانت أم سلمة – ك – مثالا حياً للمدعو المتفاعل مع الدعوة، والحريص على سلوكها الطريق القويم، ومن هذا فإن للمدعوين أن يشيروا على الداعية إذا رأوا عقبات في طريق الدعوة، وعليهم أن يخلصوا في النصح والتوجيه، وهو واجب المدعوين في كل زمان ومكان.

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤.

(٢) أم سلمة (العاقلة العالمة أم المؤمنين)، أمينة عمر الخياط ص٤٥، ط: دار القلم – دمشق، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

المبحث الثالث

الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

لقد تجلت دلالات دعوية عدة في حادث صلح الحديبية، وكان منها دلالات بينة تتعلق بموضوع الدعوة، والقيم السامية التي جاء بها الإسلام، ويعمل جاهدا على ترسيخها في المجتمع، والتي ينبغي على كل الدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان أن يأخذوا بها، ويسيروا على هديها، حتى تؤتي الدعوة ثمارها، وتتمثل أهم هذه الدلالات الدعوية في المطالب التالية:

المطلب الأول: الوفاء بالعهود والمواثيق.

المطلب الثاني: الثقة في الله أساس النصر والتمكين.

المطلب الثالث: الإسلام دين التعايش السلمي.

المطلب الأول

الوفاء بالعهود والمواثيق

من القيم الرفيعة، والأخلاق السامية التى أرستها الدعوة في صلح الحديبية و ظهرت فيها بصورة جلية، الوفاء بالعهود والمواثيق مهما كانت المغريات التي تدعوا إلى نقضها والتعدي على بنودها.

مفهوم الوفاء:

يعرف الوفاء في اللغة بأنه: " ضِدُّ الْغَدْرِ، يُقَالُ: (وَفَى) بِعَهْدِهِ (وَفَاءً) وَ(أَوْفَى) بِمَعْنًى. وَ(وَفَى) الشَّيْءَ يَفِي بِالْكَسْرِ (وُفِيًّا) عَلَى فُعُولٍ أَيْ تَمَّ وَكَثُرَ "[1]. فالوفاء إذن هو التمام وهو ضد الغدر والنقص.

وأما في الاصطلاح فيعرف الوفاء بأنه: " إتمام العهد، وإكمال الشرط، وعدم نقضه "[2] أو نقصه.

الوفاء بالعهد والميثاق في الإسلام:

لقد أرسى الإسلام قواعد الوفاء بالعهد والميثاق، ووضع لذلك الأساس القوي، والقواعد المتينة، وذلك من خلال ما جاء في نصوص القرآن الكريم وتطبيقاتها من خلال السنة النبوية المطهرة.

ففي القرآن الكريم يمدح الله – ﷻ – الذين يوفون بعهدهم وميثاقهم فيقول: □ □ □ □ □ يم يي [3]، يقول الحافظ ابن كثير: " يقول

---

(١) مختار الصحاح للرازي ص٣٤٣، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ط: الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ٨٧٨/٨.

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٠.

تعالى مخبراً عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة: الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان "[1].

ويزيد النبي – ﷺ – التأكيد على الوفاء بالعهد بقوله: " مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحِلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ "[2]، فالنبي – ﷺ – ينهى عن الغدر ويأمر بالوفاء بالعهد لكل قوم حسب مدتهم، فليس المسلمون أهل غدر بل وفاء وبر ورحمة.

الوفاء في صلح الحديبية:

لقد ظهر الوفاء في صلح الحديبية ظهوراً جليا، بل كان مضرب المثل في حوادث التاريخ ووقائع الأزمنة، وتجلى هذا الظهور في وفاء المسلمين بما عاقدوا وعاهدوا عليه قريش وبما أعطوها من مواثيق، بالرغم من كل دواعي النقض إلا أن المسلمون وقفوا ووفوا بما التزموا به.

أبو جندل[3]– ﷺ – **يرد لقريش وفاء بالعهد**:

فما جف الحبر الذي كتبت به المعاهدة، والتي كان من بنودها " على أنه

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٧٨/٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سليم بن عامر ﷺ ٢٣٨/٢٨، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بشاهده.

(٣) أَبُو جَنْدَلٍ العَاصُ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو العَامِرِيُّ، وَاسْمُهُ: العَاصُ. كَانَ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، هَاجَرَ وَجَاهَدَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جِهَادِ الشَّامِ، فَتُوُفِّيَ شَهِيْداً فِي طَاعُوْنِ عَمَوَاسَ بِالأُرْدُنِّ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ. (انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١٦١/١).

من أتى محمدا – ﷺ – من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد – ﷺ – لم يردوه عليه "[1] حتى جاء أبو جندل – ﷺ – مسلماً، يرسف في أغلاله التي وضعه أبوه فيها، وهو ابن كبير من كبراء قريش، بل ابن من يكتب العهد والميثاق ويفاوض النبي – ﷺ – عن قريش فهو ابن سهيل بن عمرو – ﷺ –، وقد جاء مسلماً، فاراً من السجن الذي وضع فيه.

ولم يكن مجيئه للمسلمين سهلاً فهو قد فر " من سجن سهيل، واجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط بالحديبية. ففرح المسلمون به وتلقوه حين هبط من الجبل فسلموا عليه وآووه، فرفع سهيل رأسه فإذا بابنه أبي جندل، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك "[2].

والمسلمون ينظرون للنبي – ﷺ – ماذا يفعلون ؟ وكأنهم ينتظرون أوامر النبي – ﷺ – بتخليصه من بين يدي أبيه، وزاد في في هذا الأثر المعنوي نداء أبي جندل على المسلمين فقد " صاح أبو جندل بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ "[3].

ولكن النبي – ﷺ – يعطي درساً عالمياً في الوفاء بالعهد والميثاق، حتى ولو كان على حساب المسلمين، فيقول النبي – ﷺ – مخاطباً أبا جندل " يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٧/٢.
(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ٢٩٢/١.
(٣) المغازي للواقدي ٦٠٨/٢.

وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم "[1].

فالنبي – ﷺ – يبين للعالم أجمع عبر صفحات التاريخ التي تأتي أنه لا يجوز غدر بعد العهد، وأنه لا يجوز النقض بعد إبرام الميثاق، حتى ولو كان ذلك في تحرير مسلم من بين براثن الكفر والشرك، فعهد الله واجب الاحترام، وما دام عهد قد تم فلا غدر، والثقة في الله أن يجعل الفرج والمخرج.

أبو بصير[2]– ﷺ – ورد النبي – ﷺ – له وفاء بالعهد:

وكما وفى النبي– ﷺ – في عهده مع قريش في رد أبي جندل – ﷺ – كذلك وفى بعهده في رد أبي بصير – ﷺ – فقد جاء أبو بصير للنبي – ﷺ – بعد رجوعه من الحديبية مسلماً، فارا من قومه الذين حبسوه وعذبوه، وهو يريد أن يجد المأوى عند النبي – ﷺ – وأصحابه – ﷺ –، ولكن النبي قد التزم بعهد وميثاق، وهو الذي يرسي المبادئ الفاضلة في العالم وللعالم أجمع.

ولكن ما كاد أن يصل إلى المدينة حتى أرسلت قريش رجلين في طلبه، ومعهم كتاب يطلبان فيه من النبي – ﷺ – أن يرد عليهم أبا بصير – ﷺ – " فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ – ﷺ – يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَا قَدْ عَلِمْت، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْغَدْرُ وَإِنّ اللّهَ جَاعِلٌ لَك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٨/٢.

(٢) هو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبدالله بن سلمة بن عبدالله بن غيرة ابن عوف بن ثقيف، وقيل: عبيد بن أسيد بن جارية وهو حليف بني زهرة، قال الطبري: أم أبي بصير؛ سالمة بنت عبدبن يزيد بن هاشم بن المطلب. (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣٢/٦).

الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، فَانْطَلِقْ إِلَى قَوْمِك، قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَرُدّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي ؟ قَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ انْطَلِقْ فَإِنّ اللّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا "(١).

فالنبي – ﷺ – يرد أبا بصير بالرغم من كونه مسلم وفاء بعهده وميثاقه الذي أمضاه مع قريش، ونص على ذلك بقوله – ﷺ –: " ولا يصلح لنا في ديننا الغدر " وبالرغم من رده عليهم إلا أنه واثق في ربه في أن يجعل لهؤلاء المستضعفين فرجا ومخرجاً وهو ما كان بالفعل.

فما كاد أبو بصير – ﷺ – يصير مع الرجلين متجها إلى مكة بعد أن دفعه النبي – ﷺ – إليهما "فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لاحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا. فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله – ﷺ – حين رآه: " لقد رأى هذا ذعرا ". فلما انتهى إلى النبي – ﷺ – قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبى الله قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي – ﷺ –: " ويل أمه ! مسعر حرب لو كان له أحد ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر "(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٢/٤.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣٥٣/٣، ط: دار المعرفة – بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م.

ثم خرج إليه أبو جند فارا وكل من يسمع به من مستضعفي مؤمنين مكة يخرج إليه حتى تكونت منهم عصبة تهدد مصالح قريش، مما أجبر قريشاً على مناشدة النبي – ﷺ – أن يأخذهم إليه ويؤويهم عنده، وهكذا جعل الله – ﷻ – لهم فرجا ومخرجا كما قال النبي – ﷺ – ولم ينقض النبي عهده.

الوفاء بما عاهد عليه النبي – ﷺ – في مدة عمرة القضاء:

وكما وفى النبي – ﷺ – بأصعب الشروط في صلح الحديبية برد من جاءه مسلماً، وفى كذلك بما شرط فقد " قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا فَاعْتَمَرَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ "[1].

إن من يتأمل في هذه المواقف من النبي – ﷺ – ليجد النبي يرسي قواعد الوفاء بالعهد ويعطي البشرية درساً في الوفاء، بل " إن من أبلغ دروس صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد، والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه، وقد ضرب رسول – ﷺ – بنفسه أعلى مثل في التاريخ القديم والحديث لاحترام كلمة لم تكتب، واحترام كلمة تكتب كذلك، وفي الجد في عهوده، وحبه للصراحة والواقعية، وبغضه التحايل والالتواء والكيد "[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: عمرة القضاء ١٥٥١/٤.
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي ص٦٧٧، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: السابعة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

فأين هذا من المعاهدات التي تقام كل يوم بين الأفراد بعضهم وبعض وكذلك بين الأمم، فلا تساوي الحبر الذي تكتب به، بل وتنقض في بعض الأحيان قبل جفاف مدادها إن وجد طرف ما مصلحة ما في النقض.

من هذا يتبين: أن من موضوعات الدعوة المهمة التي ظهرت في صلح الحديبية موضوع الوفاء بالعهد والميثاق ليس مع الأولياء من المؤمنين فحسب بل مع الأعداء الذين يتربصون للكيد للدعوة وصاحبها – ﷺ –.

المطلب الثاني

الثقة في الله أساس النصر والتمكين

من أهم الدلائل التي ظهرت في صلح الحديبية الثقة في الله – ﷻ –، وهي سمة بارزة في حياة النبي – ﷺ – أبرزها لنا في مواقف متعددة تعليماً لأمته وإرشاداً لهم حتى تكون ديدنهم في كل عمل يقومون به.

معنى الثقة في الله:

الثقة في الله هي عماد الدعاة في الوصول إلى الغاية التي يؤملونها في تبليغ الدعوة، بعد أخذهم بأسبابها، والثقة في اللغة مصدر من الفعل "وثق" يقال: " وَثِقَ به يَثِقُ بالكسر فيهما وثاقةً وثِقَةً ائتمنه .. والوَثِيقُ الشيء المُحْكم والجمع وِثاقٌ ... والوَثِيقة الإحكام في الأمر والجمع وَثِيق "[(١)]، وفي معجم اللغة العربية " وثِق بالشّخصِ، وثِق في الشّخص، وثِق من الشخص: ائتمنه، صدّقه، وضع ثِقتَه به "[(٢)].

فالثقة في اللغة هي: الائتمان والإحكام والتصديق.

أما الثقة في الاصطلاح فقد عرفها ابن القيم[(٣)] – / – بأنها " سكون

---

(١) لسان العرب مادة "وثق" ٣٧١/١٠.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبدالحميد عمر ٢٣٩٨/٣، ط: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٣) هو الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١هـ لازم الإمام ابن تيمية فى دمشق بعد عودته من مصر عام ٧١٢هـ فأخذ عنه علما جما، مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريدا فى بابه فى فنون كثيرة من اشهر مؤلفاته: (زاد المعاد فى هدى خير العباد، والطرق الحكمية وإغاثة اللهفان، وغيرها)، توفى عام ٧٥١هـ. (انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٦٥٧).

القلب إلى الله والانقطاع إليه، تقيداً بحبه وصار في وثاق العبودية فلم يبق له مفزع في النوائب ولا ملجأ غيره، ويصير عدته وشدته وذخيرته في نوائبه وملجأه في نوازله ومستعانه في حوائجه وضروراته "[1].

فالواثق بالله يثق بأن النصر من عنده، وأن التمكين للدعوة بيديه، فلا يرى ولا يسمع إلا لكلام ربه.

الثقة في الله في الإسلام:

عندما ننظر في كل ما جاء به الإسلام لا نجد فيه أمراً إلا مبناه على الثقة في الله – ﷻ – فيحدثنا القرآن عن النبي – ﷺ – عندما أحاط به المشركون في غار حراء ومعه الصديق – ﷺ – وقد فزع لما رآهم أحاطوا بالغار خوفاً على رسول الله – ﷺ – فقال له النبي – ﷺ – الواثق في ربه كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [2] وهذا تعليم للدعاة حتى تكون ثقتهم في الله – ﷻ –. ويحدثنا كذلك عن المؤمنين وثقتهم في الله تعالى وأنه ناصرهم فيقول المولى – ﷻ –: ﴿ ﴾ [3]، فهذا التوكل على الله – ﷻ – هو عين الثقة فيه وفي نصره، ومن ثم كانت نجاتهم مما دبر لهم.

الثقة في الله في صلح الحديبية:

(١) الروح لابن القيم الجوزية ص٢٤٤، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٢) سورة التوبة من الآية: ٤٠.

(٣) سورة آل عمران من الآية: ١٧٣.

من القيم السامية والمثل الرفيعة التي تجلت في واقعة صلح الحديبية الثقة في الله – ﷻ –، فقد علمنا النبي – ﷺ – وأصحابه الكرام كيف تكون الثقة في نصر الله ووعده وتمكينه، بحيث لا يتزعزع إيمان المسلم بالرغم من كل الحوادث التي ظاهرها هزيمة المسلمين أو هضم حقهم.

فهذا رسول الله – ﷺ – يأتيه سيدنا عمر – ﷺ – بعدما تم العقد بين قريش والمسلمين – وقد رأى أن هذه الشروط التي تضمنها مجحفة بحق المسلمين – فنادى رسول الله – ﷺ – مستفهماً: " يا رسول الله أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي. قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ. قَالَ: بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قَالَ: قُلْتُ لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ "(١).

فقول النبي – ﷺ – لسيدنا عمر – ﷺ –: " إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي " تمام الثقة في نصر الله وتمكينه للمسلمين، وكأن الكلام يصدر من النبي – ﷺ – كالجبال الرواسي التي لا تتزحزح، فكل كلمة منه حجة قاطعة ودليل بالغ بأن الله ناصره مهما كانت الأحداث والخطوب فلا يعلم تدبير الله للمؤمنين إلا هو.

ويتم النبي – ﷺ – كلامه لسيدنا عمر – ﷺ – حتى يثبت قلبه ولا يتأثر بما يراه من شروط وعقود رتبها المولى – ﷻ – حتى تكون طريق النصر للمؤمنين كما ربى موسى – عليه السلام – في بيت فرعون ليحفظه، وقد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤، حديث رقم ٢٥٨١. والبداية والنهاية لابن كثير ٤/١٩٢.

سأله أنه أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت ويحلقون ويقصرون فيقول له: (بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام). قال: قلت لا. قال: (فإنك آتيه ومطوف به) إنك سوف تطوف بالبيت يا عمر ولكن لله ترتيب ليس كترتيب البشر.

وبمثل ما أجاب سيدنا رسول الله – ﷺ – سيدنا عمر – ﷺ – على تلك الأسئلة التي تدور في صدره كانت إجابة أبي بكر الصديق – ﷺ – له يقول سيدنا عمر – ﷺ –: " فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ: بَلَى. أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ "[1].

وهكذا كان سيدنا أبو بكر قلبه على قلب رسول – ﷺ – وثقته من ثقته فلا عجب أن سمي صديقاً، يقول الحافظ ابن حجر – / –: " وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما أجابه النبي – ﷺ – سواء دلالة على أنه كان أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله – ﷺ – وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى "[2].

وماذا كانت نتيجة هذه الثقة بالله تعالى لقد أنزل الله – ﷻ – على رسول الله – ﷺ – وهو في طريق العودة سورة الفتح تبشر وتثبت المؤمنين،

(١) صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٩٧٤، حديث رقم ٢٥٨١. والبداية والنهاية لابن كثير ٤/١٩٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٨/٢٨٣.

فبدأت بقول الله تعالى: خ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ [1].

وكان لهذه البداية بذكر الفتح وقع الثقة على المسلمين، وخاصة على سيدنا عمر – ﷺ – الذي ذهب يستفهم بحميته على الدين من رسول الله – ﷺ – تارة ومن أبي بكر – ﷺ – تارة أخرى، فلما نزلت هذه السورة على النبي – ﷺ – دعاه – ﷺ – " فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَفَتْحٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ "[2].

لقد كان فتح الحديبية أعظم فتح في الإسلام، وبهذا كانت ثقة النبي – ﷺ – في ربه التي علمها للمسلمين في هذه الواقعة، فعلمهم أن الثقة في الله هي أساس النصر والتمكين، وأن التوكل على الله – ﷻ – بعد أخذ الأسباب يثمر أعظم النتائج.

---

(١) سورة الفتح الآيات ١/٣.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الصلح والموادعة، باب: أثم من عاهد ثم غدر ١١٦٢/٣. وصحيح مسلم كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية ١٧٥/٥.

المطلب الثالث

الإسلام دين التعايش السلمي

ومن دلائل الدعوة البارزة في صلح الحديبية أن الإسلام هو دين التعايش السلمي، فالإسلام لا يدعو لقتل الناس، ولا يسعى لظلمهم، ولا لهضم حقوق أحد، بل الإسلام يسعى للسلام ما جنح أعداؤه للسلام، ويقيم معهم سلاما لا يعرف غدرا ولا التفافا على النصوص بل سلام على قواعد الإسلام ومثله العليا التي يعامل بها حملته ومعتنقوه.

معنى التعايش السلمي:

يحمل معنى التعايش؛ العيش بسلام مع الآخر المختلف في الدين أو الجنس أو اللغة أو الطائفة ومن ثم فقد عرف بأنه " العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة"(١)، وبمزيد من التفاصيل عرف أيضاً بأنه " عيش الإنسان مع الخلق فيسلم منهم وينصفهم من نفسه، فيلقى الله – ﷻ – وقد أدى إليهم حقوقهم وسلم بدينه بين ظهرانيهم "(٢). فلا يصل له منهم إلا كل خير ويمنع عنهم كل أذى يصدر منه، ما داموا مسالمين حافظين للمودة.

التعايش السلمي في الإسلام:

لقد أرسى الإسلام قواعد التعايش السلمي مع بداية تكوينه لمجتمع

---

(١) مفهوم التعايش في الإسلام، د/ عباس الجراري ص٢٧، مجلة الإسلام اليوم العدد ١٤ لعام ١٤١٧هـ، مجلة صادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسسكو.

(٢) الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف المصرية، إشراف أ.د/ محمود حمدي زقزوق ص٣٩٣، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

إسلامي ودولة إسلامية، بعد هجرة النبي – ﷺ – إلى المدينة المنورة به، حيث كان هذا المجتمع يضم مع المسلمين غيرهم من اليهود والقبائل العربية التي بقيت على دينها ولم تدخل الإسلام بعد، ومن أجل إرساء قواعد التعايش السلمي جعل النبي – ﷺ – معاهدة بين جميع الأطراف التي تعيش في المدينة سميت "بصحيفة المدينة" جاء فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي – ﷺ – بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس ... وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ... وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن عليهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم ... "[1].

لقد أرست هذه الصحيفة مبدأ التعايش السلمي وحققته على أرض الواقع، وجعلته مثالا ونموذجاً يحتذى به في العالم كله.

التعايش السلمي من خلال صلح الحديبية:

لقد برزت مبادئ التعايش السلمي من خلال صلح الحديبية وذلك من خلال حرص النبي – ﷺ – على السلام وعلى التعايش السلمي فما كان النبي – ﷺ – حريصاً على الحرب وسفك الدماء ما داموا قد سالموه، بل حرص على إرساء مبادئ التعايش برغم كل المضايقات التي افتعلوها، فقد اشتملت المعاهدة على بنود ظاهرها الإجحاف بحق المسلمين فقد جاء فيها " اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٠٣/٢.

بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة "[١].

وبالرغم من تضمن هذا الصلح بعض الشروط التي ظاهرها الإجحاف بحق المسلمين، إلا أنه " حقن الدماء، وصان الأنفس المعصومة، وأرسى قواعد التعايش السلمي بين الناس، فمع قتال قريش للنبي – ﷺ – ومحاربتهم له سنين طوال، فقد جنح للسلم تحقيقاً لمبدأ التعايش بينه وبين قريش وسائر القبائل العربية، وحرصاً منه – ﷺ – على نبذ القتال وإطفاء فتيل الحروب، وخير دليل على هذا قوله – ﷺ –: " لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها "[٢] إنه دليل قاطع على أن التعايش السلمي هو الهدف الأسمى للمسلمين "[٣].

إن النظر إلى هذا الموقف من النبي – ﷺ – وحرصه على حقن الدماء وحرصه على السلام، ووضعه مع موقفه عندما جاء إلى المدينة وأرسى قواعد العيش المشترك بين الناس جميعا بالمدينة مسلمهم ويهودهم وكافرهم ليبين إن الإسلام هو دين التعايش السلمي، وأنه لا يسعى قط لسفك الدماء، أو الاعتداء على الحرمات، أو نهب أموال الناس والإضرار بهم، بل يرسي قواعد الأمن والسلم وصون الكرامة والدماء والأموال للناس جميعا ما وجد لذلك سبيلاً.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٣.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣١٠.

(٣) التعايش السلمي بين الشعوب والأديان، رشيد كهوس ص١٣٢، مجلة كلية أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا، عدد ١ لسنة ٢٠١٦م.

المبحث الرابع

الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية

تجلت في واقعة صلح الحديبية دلالات دعوية عدة تتعلق بالوسائل والأساليب الدعوية، والتي استخدمها النبي – ﷺ – في تلك الواقعة والتي كان لها دور كبير في إرساء السلام وعقد المعاهدة والصلح وفتح القلوب لكي تتقبل الإسلام، وتتمثل تلك الدلالات المتعلقة بالوسائل والأساليب في المطالب التالية:

المطلب الأول: ضرورة تغيير الأسلوب والوسيلة للوصول للهدف الدعوي.

المطلب الثاني: تعدد الوسائل والأساليب في التعامل مع المدعوين.

المطلب الثالث: أثر وسائل وأساليب النبي – ﷺ – في الدعوة.

المطلب الأول

ضرورة تغيير الأسلوب والوسيلة للوصول للهدف الدعوي

إن الإصرار على الوصول إلى الهدف الدعوي من هداية الناس وإرشادهم إلى الطريق الحق، يتطلب من الداعية عدم الركون إلى أسلوب وأحد أو وسيلة واحدة، فإن من شأن هذا أن يصيب المدعوين بالملل والسآمة، بل ويصيب الداعية نفسه بالملل والسآمة من كثرة التكرار والرتابة والجمود، ومن ثم وجب على الداعية أن ينوع في أساليبه ووسائله، وأن يجدد فيها كلما وجد الجديد الذي ينضبط بضوابط الشرع ويحقق الهدف ويؤدي الغرض، فإن " غياب الاهتمام بأسلوب إيجاد البديل النافع من قبل الدعاة وجمودهم على القديم من الوسائل والأساليب، واعتيادهم على طريقة واحدة في الدعوة، يؤدي بدوره إلى نوع من الفتور لدى البعض، وشعورهم بنوع من اليأس من استجابة الناس لهم، ووصول الحال إلى بهم الاستسلام للواقع "[1].

وقد كانت وقائع صلح الحديبية مثالا عظيما على هذا التنوع والتجديد في الوسائل والأساليب من النبي – ﷺ – يتبين ذلك فيما يلي:

استبدال المواجهة الحربية بالمواجهة السلمية مع قريش وحلفائها:

لقد خاضت قريش مع النبي – ﷺ – عدة حروب بدءا بغزوة بدر حتى كانت غزوة الأحزاب في السنة الخامسة مما أورث قريشا عداوة للنبي

(١) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة، د/ سالم محمد أبو الفتح البيانوني ص١٩٢، ط: دار اقرأ الكويت، ط: الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

– ﷺ – وأصحابه – رضوان الله عليهم –، فأراد النبي – ﷺ – أن يدخل في مواجهة سلمية مع قريش تغييرا للأسلوب وتبديلا للوسيلة.

ولم يفت في عضد النبي – ﷺ – أولئك الأعراب حول المدينة الذين لم يستجيبوا لدعوة النبي – ﷺ – في الخروج إلى البيت الحرام، فقد " استنفر النبي – ﷺ – العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله – ﷺ – بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب "(١).

ولم يقتصر موقفهم على رفض الخروج فقط بل قالوا: " أيريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين في الكراع والسلاح ؟ وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا! "(٢).

ومع ذلك فإن النبي – ﷺ – كان مصمما على هدفه في نشر الدعوة، وإبلاغ كلمة الله – ﷻ –.

وقد أظهر حرصه على المواجهة السلمية في خروجه للعمرة في حرصه على إظهار المسالمة – كما مر سابقا(٣) – فالمسلون يرتدون ملابس الإحرام ويسوقون الهدي أمامهم وقد قلد وأشعر، ولمزيد من إثبات هذا النهج السلمي أرسل النبي – ﷺ – مع أحد مبعوثيه لقريش يقول: " إنما جئنا معتمرين، معنا الهدي معكوفا، فنطوف بالبيت ونحل

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٨/٢.
(٢) مغازي الواقدي ٥٧٤/٢.
(٣) انظر ص ٤١١٢.

وننصرف "[1] فهذا الحرص على السلم كان دليل على تغيير الوسيلة والأسلوب في التعامل مع كفار قريش.

تغيير الأسلوب والوسيلة بما يتناسب مع شخصية المدعو:

ويعطي النبي – ﷺ – نموذجا باهرا، ومثالا واضحا في تعامله مع كل شخص بأسلوب يريح نفس المدعو، ويطمئن قلبه إن كان من أصحاب القلوب الرقيقة، بأسلوب يهذب النفس ويهزم تكبرها إن كان من أصحاب النفوس المتكبرة المغرورة، وذلك في تعامله مع من يفد عليه من قريش طالبا رجوعه عن مكة.

فهذا عروة بن مسعود الثقفي – رضي الله عنه – وقد كان معظما في قومه لدرجة أن قال المفسرون في تفسير قوله – عز وجل –: بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم [2]، إن أحد العظيمين في الآية هو عروة بن مسعود الثقفي، فقالوا: " والمراد بالقريتين مكة أو الطائف. ومقصودهما إحداهما، كالوليد بن المغيرة من مكة، وكعروة بن مسعود من الطائف..ويعنون بالعظم: كثرة المال، والرئاسة في قومه "[3].

لما كان أمره كذلك وكان كبيرا في نفسه، معظما عند قومه، يظن أن صحابة النبي – ﷺ – ما هم إلا مجموعة مختلطة من القبائل جمعهم النبي ليهزم بهم قومه لا ينفكون أن ينصرفوا عن نصرته إذا سمعوا ما أعدت قريش لهم فقال: " يا محمد، أجمعت أو شاب الناس، ثم جئت بهم إلى بيضتك

(١) مغازي الواقدي ٢/٦٠٠.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٣١.

(٣) التفسير الوسيط، أ.د/ محمد سيد طنطاوي ١٣/٧٦.

لتفضها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل. قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا. وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا "(١).

فأراه الصحابة – رضوان الله عليهم – كيف هي العظمة، وهي عظمة النبوة فوقفوا على رأس النبي يحيطون به، وجاءه الرد سريعا على لسان سيدنا أبي بكر الصديق – ﷺ – الرجل الهادئ الوديع وهو جالس خلف رسول الله – ﷺ – فقال: " امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟" وحاول أن يمد يده للحية النبي – ﷺ – وهو يكلمه، ولكن سيدنا المغيرة بن شعبة واقف على رأس النبي يضرب يده كلما حاول أن يمدها إلى لحية رسول – ﷺ – قائلا له: " كفف يدك عن وجه رسول الله – ﷺ – قبل أن لا تصل إليك " فيرد عروة: ويحك! ما أفظك وأغلظك! قال: فتبسم رسول الله – ﷺ –، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة ابن شعبة "(٢).

ورأى عروة – ﷺ – ألوانا من تعظيم الصحابة لرسول الله – ﷺ – حتى أخذ ذلك بلبه، ورجع إلى قريش شخصاً آخر غير ذلك الرجل المتكبر الذي ذهب فقال لهم: " يا قوم، إني قد وفدت على الملوك، على كسرى وهرقل والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد في أصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل، وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يدي

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٣/٢.
(٢) المرجع السابق ٣١٣/٢.

رجل منهم يمسح بها جلده، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء "[1].

وماذا كانت نتيجة هذا الأسلوب؟ لقد نتيجته راسخة في نفس عروة ابن مسعود – ﷺ – حتى أنه لحق بالنبي – ﷺ – قبل أن يصل إلى المدينة وأعلن إسلامه[2].

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية عارفاً بنفسية المدعو، واعياً بما يدور في نفسه، يختار له من الأساليب والوسائل التي تفحمه وترده إلى صوابه، وتقربه من هداية خالقه، كما فعل النبي – ﷺ – وأصحابه مع عروة ابن مسعود – ﷺ –.

ومن هذا يتبين أولاً: أن تغيير الأسلوب يؤدي إلى فكر جديد في نفس المدعو يزيل الأفكار القديمة والعداوات المتراكمة، وهو من أمثل الأساليب في التعامل مع المدعوين الذين يكنون العداوة والبغض للإسلام وأهله، وثانياً: أن لكل شخص من المدعوين طريقة يدعى بها يدركها الداعية الحكيم فيأتيه من قبلها.

(١) مغازي الواقدي ٥٩٨/٢.

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ١٠٦٦/٣.

المطلب الثاني

تعدد الوسائل والأساليب في التعامل مع المدعوين

لقد استخدم النبي – ﷺ – وسائل وأساليب متعددة في تعامله مع كفار مكة لعلهم تلين قلوبهم، وتنقشع الغشاوة عن أبصارهم فيدركوا الحق ويهتدوا إلى الإسلام، ومن تلك الوسائل:

الحركة والانتقال:

فلم يجلس النبي – ﷺ – في المدينة منتظراً من يأتيه حتى يدعوه إلى الإسلام، بل كان النبي هو المبادر بالذهاب إلى المدعو ولو كان عدوا، فخرج معه – ﷺ – عدد كبير من المسلمين يريدون العمرة والطواف بالبيت، وهم يعلمون أن قريشاً لن تدعهم يفعلوا ذلك بسهولة، ولكن لابد من أسلوب جديد معهم يجبرهم على احترام رغبة المسلمين في زيارة البيت الحرام.

وقد حقق النبي – ﷺ – في حركته بالدعوة هذه هدفاً مهما وهو أنه " إنهاء عنصر الخوف في الأرض العربية، فمن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه لقد فتحت آفاق الدعوة على مصراعيها دون وجل أو خوف من أحد، وهذا ما كان يريده رسول الله – ﷺ – منذ البداية "[(١)].

فكانت الحركة والانتقال بالدعوة حركة مباركة وانتقالا مباركاً.

إرسال الرسل واستقبال الوفود:

وكذلك اشتمل صلح الحديبية على وسيلة هامة من وسائل الدعوة وهي

(١) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان ٣/٣٦.

إرسال الرسل والدعاة لتبليغ الدعوة، وكذلك استقبال الوفود ليروا عظمة الإسلام ويسمعوا كلام الله ويروا الحق بأعينهم، وهي وسيلة عظيمة استخدمها النبي- ﷺ - مرات عديدة عندما بعث رسله إلى الأنبياء والملوك في عصره يبلغونهم رسالة الإسلام، وكذلك كان يستقبل الوفود في المدينة بعد الهجرة ليسمعوا ويروا الإسلام العظيم متمثلا في المجتمع الإسلامي.

وفي صلح الحديبية أرسل النبي - ﷺ - عدة رسل إلى قريش يخبرهم بنيته في العمرة والمسالمة وأنه ما جاء لقتال فقد أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي(١)، في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم إنه لم يأت يريد حربا، وإنما جاء زائرا للبيت، ومعظما لحرمته.

ثم طلب منهم أن يخبروا قريشاً، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، وإن محمدا لم يأت لقتال، إنما جاء زائرا لهذا البيت.

فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب(٢).

---

(١) بديل بن ورقاء بن عبدالعزى بن ربيعة الخزاعي، من خزاعة، أسلم هو وابنه عبدالله بن بديل وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمر الظهران في قول ابن شهاب. وذكر ابن إسحاق أن قريشًا يوم فتح مكة لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولاه رافع وشهد بديل وابنه عبدالله حنينًا والطائف وتبوك، وكان بديل من كبار مسلمة الفتح. وقد قيل: إنه أسلم قبل الفتح. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ١/١٥٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/١٩٠.

ثم بعث بعد ذلك خراش بن أمية – ﷺ – وعثمان بن عفان – ﷺ – كما تقدم[1].

وكذلك استقبل النبي – ﷺ – منهم وفودا جاءوا ليردوا النبي – ﷺ – عن قريش ومكة، مثل الحليس بن عمرو سيد الأحابيش، وعروة بن مسعود الثقفي – ﷺ – وسهيل بن عمرو – ﷺ – ومكرز بن حفص وغيرهم.

وكل ذلك كان يستهدف منه النبي – ﷺ – نشر الأمن والطمأنينة بين المسلمين وقريش، حتى يتسنى لهم أن يفكروا في الإسلام من غير عصبية جاهلية، ومن غير عداوة ليس لها ما يبررها، وهو ما حدث بعد ذلك ودخلوا في دين الله أفواجا.

الكتابة:

ومن الوسائل الهامة التي استعملها النبي – ﷺ – في صلح الحديبية الكتابة، وهي وسيلة هامة في الدعوة " وهي نوع من أنواع الوسائل القولية للدعوة إلى الله، باعتبارها أداةً من أدوات التبليغ، وتؤدي ما يؤدي إليه القول، بالنسبة لمن يريد الداعية دعوته ولا يمكنه المشافهة معه "[2].

ولقد كان لهذه الكتابة دورها الكبير في تثبيت الأمن والأمان بين كفار قريش والمسلمين، فلقد أصبحت بنود المعاهدة والصلح مكتوبة لا يستطيع كفار مكة ومن معهم التخلي عن حرف واحد منها وإلا أصبحت المعاهدة ملغاة، وقد وقع عليها من كان حاضراً كتابتها من المسلمين والقرشيين

(١) انظر: ص ٤١١٥، ٤١٣٣.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د/ عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤، ٤٨١، ط: مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

ورفض النبي – ﷺ – أن تكون تلك المعاهدة المكتوبة مع سهيل بن عمرو – ﷺ – فقد " قال سهيل: يكون عندي. وقال رسول اللَّه – ﷺ –: بل عندي! ثم كتب له نسخة، وأخذ رسول اللَّه – ﷺ – الكتاب الأول، وأخذ سهيل نسخته "(١).

من هذا يتبين كيف كانت الكتابة وسيلة من وسائل تثبيت المعاهدة والتي أدت لانتشار الإسلام فيما بعد في ربوع الجزية العربية.

الحوار:

يعتبر الحوار من أبرز وسائل الدعوة وأساليبها، وأسرع الوسائل في التبليغ والتأثير ذلك أن الحوار " من الأنشطة التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزالية وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب من خلالها المزيد من المعرفة والوعي، كما انه طريقة للتفكير الجماعي والنقد الفكري الذي يؤدي إلى توليد الأفكار والبعد عن الجمود، ويكتسب الحوار أهميته كذلك من كونه وسيلة للتآلف والتعاون وبديلا عن سوء الفهم والتقوقع والتعسف "(٢).

ولذلك كان الوسيلة الرئيسة في دعوة الرسل لأقوامهم، كما ورد في القرآن الكريم من تلك المحاورات الهادفة التي تظهر الحق وتجليه، وتدحض الباطل وتزهقه.

ولقد كان الحوار في واقعة صلح الحديبية أسلوباً بارزاً تتضح معالمه في كل وقفة من وقفاتها، ومن ذلك:

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ٢٩٦/١.

(٢) مهارات الحوار الفعالة مع الآخرين، رنا جمال ص٨، ط: مكتبة ملاك، الأردن، ط: الأولى ٢٠١٦م.

لقد بدأ النبي- ﷺ - ببيان استعداده للحوار إذا طلبت قريش ذلك تجنبا لما قد يحصل بين الفريقين مما يورث عداوة أكثر ويزيد الفرقة بين الطرفين بقوله حين بركت ناقته القصواء وقال الصحابة خلأت القصواء فقال: " ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها "(١). فالنبي يبين أنه إن كانت قريش على استعداد للحوار وطلب السلام فلن يتأخر النبي عن محاورتهم وإجابتهم للسلام.

ثم بدأت بعد ذلك محاورة النبي لوفود قريش عروة بن مسعود الثقفي - ﷺ - وسهيل بن عمرو وغيرهم وبعث أيضاً إليهم من يحاورهم ويدعوهم للإسلام، مما كان له الأثر الإيجابي في التقريب بين النفوس، والربط بين القلوب، وإزالة العداوة والبغضاء من الصدور، وأضحت أهل مكة بعد سنتين جنودا يحملون الدعوة ويدافعون عن الإسلام.

وهذا يظهر أهمية الحوار في تلطيف الأجواء بين الداعي والمدعوين مما يحملهم على الاستجابة للدعوة طوعا والقتال في سبيلها.

المزاوجة بين اللين والشدة:

كذلك من الأساليب الحكيمة التي استعملها النبي - ﷺ - في دعوته المزاوجة بين اللين والشدة، باستخدامه اللين في موضعه والشدة في موضعها، وهو أسلوب دعوي حكيم استعمله النبي - ﷺ - أحكم استعمال.

فقد استخدم - ﷺ - اللين مراراً فقد كان "أحكم خلق الله، فكان يتألف

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣١٠.

الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن إساءتهم، ويقابلها بالإحسان، وله – ﷺ – مواقف في الكرم، والجود، والعفو، والحلم، والرفق، والعدل [١]. بل إنه المثل الأعلى في العفو والصفح.

وفي صلح الحديبية كانت الأمثلة الباهرة، والصور المعبرة عن ذلك الأسلوب الحكيم في الرفق والصفح، فقد أرسلت قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله – ﷺ – ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا، فأخذوا أخذا، فأتي بهم رسول الله – ﷺ –، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله – ﷺ – بالحجارة والنبل "[٢]. ومع ذلك عفا عنهم – ﷺ –.

وكما كان النبي – ﷺ – يعفو ويصفح ويستخدم اللين كان كذلك أشد ما يكون عندما يعرض للدعوة عارض خطير، حتى يرهب أعداؤه، ويخوفهم من قوة المسلمين ذلك " أن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب عليه الباطل، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب "[٣].

فحينما أشيع أن عثمان بن عفان – ﷺ – أسرته قريش وقتلته، دعا النبي – ﷺ – إلي بيعة الرضوان حيث " كان لهذه الإشاعة وقع البارود المتفجر فيه. فمضى رسول الله – ﷺ – إلى أعز معقل من معاقل الأنصار

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص٢٢٢، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣١٤.

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد غلوش ص٢٦٣.

إلى منازل بني مازن بن النجار، وأخبرهم بأمر البيعة. فأقبل الناس عليه حتى تداكوا فما بقى متاع إلا وطئوه، ثم لبسوا السلاح، وهو معهم قليل "[١].

ولقد كانت البيعة على الموت أو على عدم الفرار من وجه العدو " فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله – ﷺ – على الموت، وكان جابر ابن عبدالله – ﷺ – يقول: إن رسول الله – ﷺ – لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر "[٢].

وكان استخدام رسول الله – ﷺ – لأسلوب الشدة وقعه القوي على قلوب المشركين ونفوسهم، فأسرعوا بإرسال سيدنا عثمان – ﷺ – ومن معه ممن أسروهم من المسلمين، " ولما رأى سهيل بن عمرو ومن معه، ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب، اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية "[٣]. أي إمضاء الصلح بينهم وبين المسلمين.

من هذا يتبين أن من أساليب الدعوة المهمة أسلوب اللين في بعض المواقف وأسلوب الشدة في مواقف أخرى.

ومن خلال هذا العرض لأهم هذه الأساليب التي ظهرت من خلال واقعة صلح الحديبية يتبين تعدد تلك الأساليب والوسائل التي استخدمها النبي – ﷺ – في إبلاغ دعوته للعالمين.

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان ٢٢/٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٥/٢.

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي ٢٩٠/١.

المطلب الثالث

أثر وسائل وأساليب النبي – ﷺ – في صلح الحديبية على الدعوة

لقد قاد النبي – ﷺ – المسلمين في واقعة الحديبية قيادة النبي والرسول المبلغ للدعوة الذي يوحى إليه، كما قادها قيادة القائد المحنك والسياسي البارع، الذي يدرك الواقع حوله، وما يمكن أن يستفيد به وما يمكن أن يجلب الضرر على المسلمين، فكانت تصرفاته وأساليبه ووسائله قدوة للمسلمين في كل مكان وزمان، بل قدوة وأسوة لكي سياسي يريد أن يحقق لأمته الكرامة والعزة، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد أهم الآثار لتلك الوسائل والأساليب النبوية على الدعوة:

أولاً: تجنيب الدعوة الأضرار والعقبات بأقل التضحيات:

فالنبي – ﷺ – في هذا الصلح قد جنب المسلمين الحرب والقتال، الذي لم يخرج له أولا، ولا كان في نيته – ﷺ –، وذلك باحتمال ما ظاهره ضرر أو حيف على المسلمين، في سبيل نشر الدعوة فهو الهدف الرئيسي، " فماذا يعني إصرار المسلمين على دخول مكة عنوة، إن أول معانيه، أن يكون الحقد والثأر هو الذي يطبع نفوس أهل مكة جميعا. وهذا يسد إلى فترة غير قليلة باب الدخول في الإسلام أو التفكير به.

وما كان رسول الله – ﷺ – يغيب عن قلبه أبدا رغبته في إسلام أهل مكة. وهذه خسارة فادحة. وأن تقع معركة غير متكافئة يسقط فيها مئات الشهداء من المسلمين لدخول مكة. وهم قرة عينه وخيرة جنده، فهذه خسارة فادحة ثانية "[1].

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان ٣/٣٥.

في سبيل ذلك فقد احتمل – ﷺ – أن لا يكتب في بداية المعاهدة " بسم الله الرحمن الرحيم " ورضي أن يكتب " بسمك اللهم "، ورضي أن يرجع هو أصحابه هذا العام من غير عمرة، ورضي كذلك أن يرد لقريش من جاءه مسلما [١].

لكن بإمضاء المعاهدة سيكون قد فتح للدعوة فتحا جديدا، وهزم قريش في عقر دارها، " وهل من هزيمة أعظم من قبول قريش المصالحة وبعثه وفد بذلك. قريش قبل عام واحد تحاصر المسلمين مع من جيشت من العرب. وتأتيهم من فوقهم ومن أسفل منهم وهي اليوم تبعث وفدا للمصالحة مع المسلمين على مشارف مكة.

إنه نصر ساحق ولا شك والنصر الآخر هو أن تقف مكة على الحياد وتقف الحرب في جزيرة العرب وتفتح أبواب الجزيرة أمام المد الإسلامي. إنه نصر ساحق ولا شك. وأن يعود المسلمون في العام القادم ويدخلوا مكة باعتراف رسمي وحماية رسمية دون أن يتعرض لهم أحد بسوء. إنه نصر ماحق ولا شك "[٢].

إنه فقه الموازنات الذي علمنا إياه النبي – ﷺ – في استشراف الخير للدعوة، وفتح أبواب الدعوة أمام الناس وإن كان هناك ضرر بسيط وتضحيات وقتيه.

يقول ابن القيم: " إن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى

(١) سيرة ابن هشام ٣١٧/٢.

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان ٣٥/٣.

المفسدتين باحتمال أدناهما "[1].

وهو منهج حقق المراد منه، وأصبح الأعداء الذين يناصبون الدعوة العداوة ويبغون لها كل شر، ويرفضون كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" أصبحوا بعد عامين جنودا للدعوة يحملونها لكل مكان ويدافعون عنها بأنفسهم وأرواحهم.

ثانيا: وضع الأسس لفض المنازعات بالدبلوماسية[2] الإسلامية والتفاوض:

واجه النبي – ﷺ – في واقعة الحديبية قوة تريد تدمير المسلمين، وكان ذلك تحدياً كبيراً، ولكن النبي حول ذلك التحدي إلى فرصة كبيرة للدعوة، فإن " أزمة الحديبية واحدة من أخطر الأزمات التي شهدها التاريخ، وإن المبادئ التي طبقها النبي – ﷺ – في مواجهة تلك الأزمة الخطيرة والسيطرة عليها

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ٢٧٢/٣، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(٢) الدبلوماسية: مشتقة من الكلمة الإغريقية "دبلوما "diploma" بمعنى "الوثيقة الرسمية" ثم شاع انتشارها للدلالة على العلاقات الخارجية في القرن الخامس عشر الميلادي، والدبلوماسية: هي أحدى الوسائل الأساسية لتحقيق مصالح الدولة الخارجية بالطرق السلمية، وهي الكابح الوحيد والمعقول للحرب وويلاتها، والذي يضمن مقدارا من ضروريا من في الصفات التمثيلية واحترام رغبات الأطراف المتفاوضة في الدفاع المشروع عن مصالح بلادها في جو يسوده الاحترام والتقدير المتبادل. (انظر: مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، بحث بعنوان: " تطور الدبلوماسية – دراسة تحليلية " زياد خلف عبدالله الجبوري ص٤٨٨، عدد٩، مجلد (١٤) ٢٠٠٧م، موقع المجلة على الشبكة العالمية للمعلومات "الانترنت"
(https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=44789

والانتقال بها للصلح بديلا عن المواجهة العسكرية المدمرة تجعل منها مدرسة سياسية دولية هي الأولى من نوعها في التاريخ الإنساني "[١].

وفض المنازعات وتحويل الواقع من أجواء الحرب إلى السلم، تم عن طريق لجوء النبي – ﷺ – إلى الدبلوماسية بالتفاوض المباشر مع قريش، وفي العصر الحديث تعد " المفاوضات المباشرة من أهم موضوعات الدبلوماسية، بل إن من تعاريف الدبلوماسية أنها "فن المفاوضة" والمفاوضات من أولى الوسائل الدبلوماسية لتسوية المنازعات الدولية التي عرفتها البشرية "[٢].

وبالدبلوماسية التي أرسى النبي – ﷺ – أسسها على القيم وعلى الأخلاق الرفيعة، أدار المفاوضات مع قريش بصورة أخلاقية راقية لم تعهد لها البشرية مثالاً:

فهو المفاوض الملتزم بكلمته وعهده، حتى ولو كان هذا العهد على رد من جاءه مسلماً، فقد رد النبي– ﷺ – أبا جندل بن سهيل بن عمرو– ﷺ – وفاء بالشرط، حتى يجعل الله له مخرجاً.

وهو المفاوض القادر على تحقيق ما اتفق عليه وعاهد عليه فقد كان فتح مكة بعد ذلك نتيجة لنقض قريش أحد بنود ذلك الصلح، والذي جاء فيه

---

(١) مجلة العلوم الإدارية، الصادرة عن أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، مقال بعنوان: " أزمة الحديبية مناراً لإدارة الأزمات " اللواء جمال الدين أحمد حواش ص١٢٩، مجلد ٢٠ عدد ٣ لعام ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: الدبلوماسية الإسلامية، د/ سهيل حسين الفتلاوي ص٥٦، ط: دار الثقافة، عمان – الأردن، ط: الأولى ٢٠٠٥م.

" وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه "[1]، فدخلت قبيلة بنو خزاعة في عهد النبي – ﷺ – ودخلت بنو بكر في عهد قريش وعقدهم، ولكن بنو بكر حلفاء قريش اعتدوا على بني خزاعة حلفاء النبي – ﷺ – فكان هذا نقضاً للعهد الموجب لفتح مكة.

وهو المفاوض الملتزم بأدب الحوار والمجادلة فلا سب ولا شتم ولا استهزاء بالخصم، ولا مقابلة للسيئة بالسيئة، فهذا عروة بن مسعود – رضي الله عنه – " جعل يتناول لحية رسول الله – ﷺ – وهو يكلمه "[2] والنبي – ﷺ – لا يرد عليه بمثل ما يفعل، بل يرد عليه أصحابه بتحذيره من مد يده إلى الرسول – ﷺ –.

لقد وضع النبي – ﷺ – من خلال وسائله وأساليبه التي استعملها في صلح الحديبية الأسس الواضحة لفض المنازعات والدبلوماسية الإسلامية عن طريق التفاوض، ذلك أن " العنف إجراء زجري قهري وتأثيره مؤقت، أما التفاوض فهو بناء واستقرار وذو تأثير بعيد المدى؛ لأنه يعتمد على عنصر الإقناع العقلي والاحترام المتبادل ومراعاة مبدأ المساواة وإقرار الود والتفاهم ونبذ الخصام والصراع لذا كانت المصلحة فيه أقرب تحققا وأسرع منالا "[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٩٢/٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٣/٢.

(٣) المفاوضات الدولية بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د/ محمد ضياء الحق ص٩، بحث منشور بمجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد (٨٢) ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

وبتلك الإستراتيجية التفاوضية الأخلاقية وصل النبي – ﷺ – إلى الهدف المباشر من المفاوضات، وإلى الهدف الذي يبتغيه للدعوة الإسلامية.

فتح باب الحرية للدعوة لتنطلق في أرجاء العالم:

لقد كان صلح الحديبية إيذانا ببدء مرحلة جديدة للدعوة الإسلامية تتنسم فيه نسمات الحرية، منطلقة إلى أرجاء العالم لتصل إلى القلوب فتقودها لله رب العالمين، فما أن رجع النبي – ﷺ – من الحديبية بعد إمضاء الصلح، وبث الأمان بين المسلمين وكفار قريش حتى بدأ النبي – ﷺ – في الصدع بالدعوة داخل الجزيرة العربية وخارجها عن طريق إرسال الرسائل.

فتحقيقاً لعالمية الرسالة وأنها للبشر جميعا، وبعد ذلك الصلح " انفتحت السبل، وأصبح الطريق آمنًا أمام الدعاة ليصلوا بدينهم للناس، وتشوق الجميع ليتعلموا هذا الدين الذي أعلنه محمد – ﷺ – وتغلب به على قريش، وانتشر بسببه السلام بين العرب جميعًا، ورأى النبي – ﷺ – أن الجبهة أمام الدعوة قد اتسعت لتشمل الجزيرة كلها، والعالم كله، ما عدا جيوب صغيرة تأبى قبول الإسلام، والاستماع لدعاته، وهداه الله سبحانه وتعالى لوسيلة تناسب هذا التوسع، هي وسيلة الرسائل يحملها الصحابة، الذين يختارهم لحملها إلى رؤساء القبائل "[1].

فأرسل النبي – ﷺ – رسائله إلى الملوك والأمراء في ذلك الزمان يدعوهم للإسلام، فأرسل النجاشي وإلى قيصر الروم وإلى المقوقس في مصر وأرسل

(١) السيرة النبوية، د/ أحمد غلوش ص٥١٢.

إلى كسرى عظيم الفرس، وإلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة وإلى صاحب دمشق وإلى ملك عمان[١]، وأخذ الصحابة حاملو رسائله يخرجون من المدينة واحدا تلو الآخر صدعاً بالدعوة إلى مختلف أقطار الأرض.

ولقد كان لهذه الرسائل من الإيجابيات الكثير، فقد " نقلت الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العالمي. وهزت عروش ملوك، وأدخلت ملوكا في الإسلام، ووجهت بعض الملوك إلى الحرب، وما كان هذا الأمر ليتم قبل صلح الحديبية. حيث أصبحت الدولة الإسلامية هي الدولة الأقوى في جزيرة العرب بلا منازع. وإنهاء الحرب الطاحنة كان إيذانا بالتفرغ إلى الدعوة وتبليغها للناس كافة "[٢].

ومن خلال هذا يتضح أن لأساليب النبي – ﷺ – ووسائله في صلح الحديبية أثر كبير الدعوة الإسلامية فقد جنبها الأضرار ووضع الأسس للمفاوضة لحل النزاعات بين الدولة المسلمة وغيرها، كما كان لها الأثر الأكبر في انطلاق الدعوة إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها.

(١) انظر: السيرة النبوية، د/ أحمد غلوش ص٥١٢.

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان ٣/٥٥.

الخاتمة

نسأل الله - تعالى - حُسْنَهَا

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

بعد دراسة موضوع: " الدلالات الدعوية في صلح الحديبية " اتضح عدد من النتائج أهمها:

أولاً: كان صلح الحديبية حدثاً عظيما في تاريخ المسلمين، وكان له الأثر المباشر على الدعوة الإسلامية، وقد حمل الكثير من الدلالات الدعوية المهمة.

ثانياً: إن من أبرز الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي في صلح الحديبية هي القيادة الحكيمة، والتي تعلم الدعاة كيفية السير في دعوتهم دون التفات إلى تثبيط المثبطين، وكيف يكون الداعية عارفا بالمدعوين ومن يبدأ دعوته، وأن عليه التشاور في أمر الدعوة مع غيره من الدعاة الصادقين، أو مع المدعوين إن كان الأمر يتطلب ذلك، وكذلك ينبغي على الداعية أن يكون فاهما كيفية التعامل مع المدعوين، كما أن عليه أن يتعرف إلى هدفه ويتوخى تحقيقه ببذل ما يستطيع حتى تؤتي دعوته ثمارها، وكذلك متحملا نتيجة دعوته كاملة فهو قدوة لغيره من المدعوين.

ثالثاً: حرص الداعية على السلام، وتجنبه كل ما يثير الفتن، وعلمه بأن أقرب طريق لقبول الدعوة هي طريق الود والسلام لا طريق التفجير وشن الحروب.

رابعاً: رفق الداعية بالمدعوين له الأثر الكبير على الدعوة، فهو يقرب بين الداعي والمدعو، ويحمل في طياته الاستجابة والخضوع للدعوة؛ لأن النفوس جبلت على حب الإحسان، وكرم التعامل والرحمة والعطف.

خامساً: حرص المدعو على احترام الداعية وتوقيره وحرصه على الاستفادة منه والدفاع عنه أمامه أو في غيبته، فهو من الأمور التي تضع المهابة للدعوة في القلوب، وتغرس تعظيمها في النفوس.

سادساً: أن التضحية والفداء كان سمة بارزة في صلح الحديبية من قبل المدعوين، وهو أسوة للمدعوين في كل زمان ومكان.

سابعاً: للمدعوين أن يشيروا على الداعية إذا رأوا عقبات في طريق الدعوة، وعليهم أن يخلصوا في النصح والتوجيه، وهو واجب المدعوين في كل زمان ومكان.

ثامناً: من موضوعات الدعوة المهمة التي ظهرت في صلح الحديبية موضوع الوفاء بالعهد والميثاق ليس مع الأولياء من المؤمنين فحسب بل مع الأعداء الذين يتربصون للكيد للدعوة وصاحبها – ﷺ – .

تاسعاً: أن الثقة في الله لابد وأن تكون سمة بارزة في كل أفعال الداعية، تأسياً بالنبي – ﷺ – وما حدث معه في صلح الحديبية.

عاشراً: أن الإسلام هو دين التعايش السلمي، وأنه لا يسعى قط لسفك الدماء، أو الاعتداء على الحرمات، أو نهب أموال الناس والإضرار بهم، بل يرسي قواعد الأمن والسلم وصون الكرامة والدماء والأموال للناس جميعا ما وجد لذلك سبيلاً.

حادي عشر: تغيير الأسلوب يؤدي إلى فكر جديد في نفس المدعو يزيل الأفكار القديمة والعداوات المتراكمة، وهو من أمثل الأساليب في التعامل مع المدعوين الذين يكنون العداوة والبغض للإسلام وأهله، وأن لكل شخص من المدعوين طريقة يدعى بها يدركها الداعية الحكيم فيأتيه من قبلها.

ثاني عشر: لأساليب النبي – ﷺ – ووسائله في صلح الحديبية أثر كبير على الدعوة الإسلامية فقد جنبها الأضرار ووضع الأسس للتفاوض لحل النزاعات بين الدولة المسلمة وغيرها، كما كان لها الأثر الأكبر في انطلاق الدعوة إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وأخيراً يوصي الباحث بـ:

أولاً: ضرورة رجوع الدعاة إلى سيرة خير البشر – ﷺ – والتزود من معينها والتعلم والتأدب بالآداب التي كان يتحلى بها النبي – ﷺ –، فهي كفيلة بنجاح دعوتهم، وانتشارها في الآفاق.

ثانياً: ضرورة عمل موسوعي متكامل لسيرة النبي – ﷺ – والخروج منها بدلالات دعوية وصياغتها في برامج بعضها لتربية الدعاة، وبعضها للأساليب والوسائل التي استخدمها النبي – ﷺ – لتعليمها للدعاة وتطبيقها على الواقع في العصر الحاضر.

وأخيراً ...

فهذا هو بحثي، وهو جهد المقل،،فإن أكن أحسنت فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وحسبي أني قد اجتهدت وبذلت ما في وسعي وعلى الله قصد السبيل.

الباحث

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (جل من أنزله).

[١] إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ط: دار المعرفة، بيروت.

[٢] الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، ط: دار الجيل، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، تحقيق: محمد على البيجاوي.

[٣] أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود.

[٤] الإسلام فى حياة المسلم، د/ محمد البهى، ط: مكتبة وهبة، ط: الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

[٥] الإصابة في تمييز الصحابة لابن عبدالبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

[٦] أصول الدعوة، د/ عبدالكريم زيدان، ط: مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

[٧] الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

[٨] أم سلمة (العاقلة العالمة أم المؤمنين)، أمينة عمر الخياط، ط: دار القلم – دمشق، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

[٩] إمتاع الأسماع للمقريزي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي.

[١٠] البداية والنهاية لابن كثير، ط: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

[١١] البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة، د/ سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط: دار اقرأ الكويت، ط: الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.
[١٢] البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن على الشوكانى، ط: الأولى، ط: السعادة، القاهرة ١٣٤٨هـ.
[١٣] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، تحقيق: محمد علي النجار.
[١٤] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت ١٤٠٧هـ، ط: الأولى تحقيق: محمد المصري.
[١٥] تاريخ الإسلام للذهبي، ط: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى ٢٠٠٣م، تحقيق: بشار عوّاد معروف.
[١٦] التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، محمد راكان الدغمي، ط: دار السلام، ط: الثانية ١٩٨٥م.
[١٧] تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى.
[١٨] التعايش السلمي بين الشعوب والأديان، رشيد كهوس، مجلة كلية أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا، عدد (١) لسنة ٢٠١٦م.
[١٩] التعريفات للشريف الجرجاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وط: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

[٢٠] تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
[٢١] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر، ط: الأولى ١٩٩٨م.
[٢٢] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ط: دار الكتب المصرية، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.
[٢٣] جريدة الأهرام المصرية جمادي الاولى ١٤٣٧هـ ٩ مارس ٢٠١٦م السنة ١٤٠ العدد ٤٧٢١٠.
[٢٤] الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.
[٢٥] الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر، ط: دار المعارف ١٤٠٣هـ، تحقيق: د/ شوقي ضيف.
[٢٦] الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد عبدالرحمن الراوي، ط: دار الرشد الرياض ١٤١١هـ
[٢٧] الدعوة إلى الإسلام، د/ أبو بكر زكري، ط: دار العروبة – القاهرة.
[٢٨] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، ط: دار السلام – القاهرة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي.
[٢٩] رجال من التاريخ للأستاذ/ علي الطنطاوي، ط: مؤسسة الرسالة، ط: السادسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
[٣٠] الرسول القائد، محمود شيت خطاب، ط: دار مكتبة الحياة ومكتبة

النهضة، بغداد، ط: الثانية ١٩٦٠م.
[٣١] الروح لابن القيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
[٣٢] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
[٣٣] السنن الكبرى للنسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م، تحقيق: د/ عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.
[٣٤] سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨١م.
[٣٥] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: السابعة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
[٣٦] السيرة النبوية لابن هشام، ط: مصطفى البابي الحلبي، ط: الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون.
[٣٧] السيرة النبوية للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة– بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م.
[٣٨] السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، د/ أحمد أحمد غلوش، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
[٣٩] الشفا بتعريف حقوق المصطفى – ﷺ – للقاضي عياض، ط: دار الفكر ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
[٤٠] صحيح الإمام البخاري، ط: دار ابن كثير، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

[٤١] صحيح الإمام مسلم، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
[٤٢] صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، ط: دار الفكر، ط: الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
[٤٣] طبقات الحفاظ للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٣هـ.
[٤٤] طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ، ط: الثانية، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبدالفتاح محمد الحلو.
[٤٥] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لفتح الدين بن سيد الناس، ط: دار القلم بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
[٤٦] غريب الحديث لأبي عبيدالقاسم بن سلام، ط: دار الكتاب العربي، ط: الأولى ١٣٩٦م
[٤٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي.
[٤٨] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أ.د/ موسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
[٤٩] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم.
[٥٠] في ظلال السيرة الحديبية، محمد سليم العوا، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

[٥١] القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د/ محمد الطيب النجار، ط: دار الندوة الجديدة – بيروت ١٤١١هـ.
[٥٢] لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، ط: الأولى.
[٥٣] مجلة العلوم الإدارية، الصادرة عن أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، مقال بعنوان أزمة الحديبية مناراً لإدارة الأزمات، اللواء جمال الدين أحمد حواش، مجلد ٢٠عدد (٣) لعام ٢٠٠٢م.
[٥٤] المجموع شرح المهذب للامام ابي زكريا محي الدين بن شرف النووي، ط: دار الفكر – بيروت ١٩٩٧م.
[٥٥] مختار الصحاح للرازي، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ط: الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.
[٥٦] المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد البيانوني، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٥هـ.
[٥٧] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون.
[٥٨] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
[٥٩] معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، ط: دار الفكر – بيروت.
[٦٠] معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، عمررضا كحالة، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.
[٦١] معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبدالحميد عمر، ط: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

[٦٢] معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي، ط: دار مكة، ط: الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
[٦٣] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
[٦٤] المغازي، محمد بن عمر السهمي أبو عبدالله الواقدي، ط: دار الأعلمي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، تحقيق: مارسدن جونس.
[٦٥] المفاوضات الدولية بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د/ محمد ضياء الحق، بحث منشور بمجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد (٨٢) ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
[٦٦] المفردات للراغب الأصفهاني، ط: دار القلم،الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي.
[٦٧] مفهوم التعايش في الإسلام، د/ عباس الجراري، مجلة الإسلام اليوم العدد (١٤) لعام ١٤١٧هـ، مجلة صادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسسكو.
[٦٨] مقاييس اللغة لابن فارس، ط: دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.
[٦٩] المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ط: مكتبة المنار – عمان الأردن، ط: السادسة ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
[٧٠] منهج الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أ.د/ أحمد أحمد غلوش، ط: دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، القاهرة، بيروت.

[٧١] مهارات الحوار الفعالة مع الآخرين، رنا جمال، ط: مكتبة ملاك، الأردن، ط: الأولى ٢٠١٦م.

[٧٢] موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، إشراف د/ محمود حمدي زقزوق، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

[٧٣] الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف المصرية، إشراف أ.د/ محمود حمدي زقزوق، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

[٧٤] نسب حرب، محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي، ط: مكتبة دار البيان، دمشق، ط: الأولى ١٣٩٧هـ.

[٧٥] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي.

[٧٦] هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط: دار الاعتصام، ط: التاسعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.